أشعار من عالم اسمه الصين

مختارات من شعر آى تشينغ

المجلس الأعلى للثقافة



المشروع القومى للترجمة

艾青

詩選

622

ترجمة

أمير نبيه

عبد الرحمن حجازى

مراجعة وتقديم

عبد العزيز حمدى

اهداءات ٢٠٠٤

المجلس الأعلى للثقافة
القاهرة

المشروع القومى للترجمة

أشعار

من عالم اسمه الصين

مختارات من شعر آى تشينغ»

ترجمة

أمـــــير نبيـــــه و عبد الرحمن حجازى

مراجعة وتقديم

عبد العزيز حمدى



٢٠٠٣

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٦٢٢
- أشعار من عالم اسمه الصين «مختارات»
- آى تشينغ
- أمير نبيه
- عبد الرحمن حجازى
- عبد العزيز حمدى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٣

هذه ترجمة لمختارات من شعر آى تشينغ

تمت ترجمتها عن اللغة الإنجليزية ، ورووجعت على الأصل فى اللغة الصينية

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 **Fax :** 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

إهـداء إلـى

الأستاذ الدكتور / جابر عصـفور

و السيدة الأستاذة / يوزجات شكرى

آملين أن يتردد تقديرنا لهما وعرفاننا بفضلهما أينما تردد ذكر لهذا الكتاب ،

المترجمـان

تقديم المراجع

يقول الباحث الأمريكى روبرت فريد Robert. C. Fred "إن الشاعر الصينى آى تشينغ Ai Qing ، والشاعر التركى ناظم حكمت ران Nazim Hikmet Ran والشاعر الشيلى بابلو نيرودا Pablo Neruda يعتبرون أفضل ثلاثة شعراء فى العالم عبَّروا عن شعوبهم . وأشار إلى أن : "أشعارهم تعبر عما يجيش فى صدور المضطهدين ، والذين ظفروا بحريتهم ، وتمتد قصائدهم عبر البحار والمحيطات ، وتنتشر فى كافة الأنحاء ، كما أنها خالية من الزخارف اللغوية ، وكذا ترجمتها سلسة ، والتشبيهات والصور الشعرية فى قصائدهم مألوفة فى أصقاع المعمورة . ومن ثم تستطيع أشعارهم أن تثبت الدفء والحماسة داخل نفوس شعوب العالم بأسره" .

فقد كان شاعرنا آى تشينغ من الرواد الأوائل لحركة الشعر الحر التى شهدتها الصين غداة الحركة الثقافية الجديدة فى ٤ مايو عام ١٩١٩ ، ومن المؤيدين المتحمسين للتحرر من قيود وربقة الشعر القديم ، والانطلاق إلى آفاق شعرية أرحب وأوسع يتنفس فيها عبير الحرية تارة ، وتارة أخرى يعلن استياءه وسخطه على المجتمع الإقطاعى الذى نشأ داخل أروقته ، وبذلك يحاول أن يشعل الشمعة من طرفيها على الصعيدين الأدبى والوطنى ؛ ليظل البلبل الصدَّاح على أفنان دوحة الشعر الصينى زهاء خمسين عامًا .

وليس من مهمة هذه السطور أن تقوم بتأريخ حركة تجديد الشعر فى كلٍّ من الصين والعالم العربى ، ولكن حسبى هنا – وحسب القارئ العربى أيضًا – أن نلمح فى عجالة هذه الإلماعة عن الخلفية التاريخية المتشابهة والأوضاع السياسية المتماثلة التى قادت إلى حركة تجديد الشعر والشعر الحر فيهما ؛ لأن ذلك يمثل إرهاصة أساسية تسلط الأضواء على باقة الأشعار التى بين أيدينا وغيرها من قصائد الشعر الحر فى الصين على وجه الخصوص ، وحتى تبدو الصورة أمام القارئ العربى أكثر وضوحًا وجلاءً ، مما جعل هذه المقدمة مما ليس منه بُد .

بدأ الأدب الصينى ينهض فى أواسط القرن التاسع عشر بعد ما دكت مدافع الإنجليز – فى حرب الأفيون عام ١٨٤٠ – حصون الصين المنيعة ، وفتحت بوابتها العتيقة على مصراعيها . وظهرت آنذاك ثُلَّة من المفكرين التقدميين من بين صفوف أهل الفكر تدعو إلى النود عن الوطن والإفادة من الأفكار التقدمية والأنظمة الحديثة فى الغرب ، وكان منهم – بالطبع – شعراء عضدوا هذا الاتجاه ، وكانوا بوقًا للتجديد . وفيما يبدو – كما ذكر كارل ماركس – أن الشىء الغريب جداً أن الأفيون لم يؤدِ إلى النعاس والتنويم ، بل على العكس اضطلع بدور اليقظة .

نهض الأدب العربى – شأنه شأن الأدب الصينى – فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر بعد أن أفاق العرب على أصوات مدافع نابليون فى أواخر القرن الثامن عشر كما ذكر الدكتور عبد المجيد زراقط فى كتابه «الحداثة فى النقد الأدبى المعاصر» .

ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن الحملات الأجنبية والتراعات الداخلية قد مهدت لنهضة الأدبين العربى والصينى اللذين سارا على درب التحديث على قدم وساق ، وأكملا خلال مائة سنة كل المراحل التى مر بها الأدب الحديث الغربى فى خلال بضع مئات من السنين ، ابتداء من الكلاسيكية الجديدة ، إلى الرومانسية ، والرمزية ، ثم الواقعية النقدية ، والواقعية الاشتراكية ، وأخيرًا السريالية . وكانت حركة الشعر الحر أبرز الظواهر الأدبية فى تلك المراحل .

بدأت حركة الشعر الحر فى الصين منذ حقبتى العشرينيات والثلاثينيات فرضتها الأجواء الثورية المتأججة التى فُرضت على الصين وقتئذ ، ووجد الشعراء أن لغة الحوار عاجزة عن التعبير عن العواطف الجياشة والمشاعر المتدفقة ، ووجدوا ضالتهم الرشيدة فى الاقتباس من الأعمال الأدبية الغربية حتى تكونت لغة صينية جديدة أو بالأحرى لغة مغربية تدرب الشعراء عليها ، وأصبحت لغة مقبولة لدى الخاصة والعامة . ومن هنا بدأت حركة التجديد الحقيقى التى تعنى وداعًا أخيرًا للغة الصينية القديمة والشعر الصينى القديم . وقام الشاعر فوفينغ بتدشين أول قصيدة فى الشعر الحر ، ثم جاءت قصيدة «آلهة» للشاعر كو مو روا علامة مضيئة على استقلال الشعر الحر فى الصين .

وأدى ذلك إلى اندثار شكل الشعر الصينى القديم الذى يتمثل أولاً : فى الحبكة المحكمة ؛ لأن الصينيين يرون أن أى عمل أدبى لابد له من مقدمة وسرد وانتقال ومؤخرة وإلا يعتبر ناقصًا ومبتورًا . وثانيًا : المقابلة وهو ما يشبه المقابلة فى علم البديع العربى ؛ حيث يجب على الشاعر أن

يأتى بالأبيات أزواجًا ، كل زوج متقابلان معنىً ولفظًا ، وجعل ذلك الشعر الصينى القديم طويل المد واسع البسط يتألف من طرفين متضادين ، قد يكونا الأرض والسماء ، أو الماضى والحاضر ، أو الموت والحياة . وثالثًا : التنقيح الشديد للمفردات ، نظرًا لقلة المقاطع فى القصيدة .

ومن المعالم الأدبية البارزة التى شهدتها حركة تجديد الشعر فى الصين التى قامت على أنقاض الشعر القديم عملية «تنثير الشعر» ، ويعنى ذلك كسر البحور والقوافى وغيرها من سمات الشعر القديم ، والإتيان بنثر يوضع فى سطور على شكل الأبيات القديمة يتحلى بإيقاعات داخلية ، وما يجب أن يحمله الشعر من عواطف وشعور ومعانٍ ميتافيزيقية . وظهرت كوكبة من الشعراء الذين برعوا فى الفن الشعرى الجديد ، أمثال شاعرنا آى تشينغ ، وون ايى دوا ، وفونغ تشيه ، وبيان تشيه لين ، وشوى تشه مو ، وقدموا قصائد تجمع بين جمال الشرق والغرب ، وجمال الشعر والنثر ، وجمال العاطفة والفكر ، وليست أقل من الشعر الغربى فنًا ومحتوى ، وكان ذلك فى الأربعينيات والخمسينيات .

وفى ذلك الحين بالضبط ظهرت إرهاصات حركة الشعر الحر فى البلاد العربية التى عضدت إدخال أنواع جديدة من أساليب الشعر الغربى على الشعر العربى ، والتحرر من الأسلوب القديم المثقل بالزخارف اللغوية والصنعة اللفظية ، وانتهاج أسلوب بسيط وواضح ينأى عن الغموض والإبهام ، ويقتبس موضوعات من الحياة الواقعية ، واضطلع بذلك الرعيل الأول لهذه الحركة أمثال أحمد شوقى وخليل مطران ، ثم جاء الرعيل الثانى من نقاد وشعراء مدارس أبولو والمهجر

والديوان الذين قاموا بتجديد الشعر العربى تنظيراً ونماذج . بيد أن النقاد يتفقون على أن التجديد الجذرى فى الشعر العربى قد بدأ إبان الحرب العالمية الثانية على أيدى شعراء من مصر مثل أحمد عبد المعطى حجازى وصلاح عبد الصبور ، ونازك الملائكة وبدر شاكر السياب من العراق وغيرهم من شعراء لبنان وسوريا الذين تخلصوا من طريقة الخليل بن أحمد واضع علم العروض والتحرر من القوافى التى حكمت الشعر العربى منذ ألف وخمسمائة سنة خلت .

وبعد أن وضعت الحرب الباردة أوزارها ، سار الشعران العربى والصينى فى اتجاهين مختلفين ؛ فالشعر الصينى أصبح له وجهان : أحدهما علنى يؤازر السياسة الثورية ، ويعضد مقالات وموضوعات الصحف والجرائد ، ويمكن أن نطلق عليه الشعر السياسى أو الخطاب الأيديولوچى . والوجه الآخر هو الشعر الخفى الذى جاء بعضه حر تجريبى يحاول أن يعبر عن مكنون الذات المكبوتة المكبلة بالأصفاد الأيديولوچية والسياسية ، ويرجع بالشعر إلى طريقه الفنى . أما الشاعر العربى - فى ذلك الحين - كان يموج بالأزمات الطاحنة والأحداث الملتهبة من الصراع العربى - الإسرائيلى ، والقضية الفلسطينية ، وقضية الحرب والسلام ، وقضية الحرب الباردة والمشكلات الاجتماعية والسياسية فى عالمنا العربى . وانقسم الشعراء - إزاء تلك القضايا - إلى فرق وجماعات ؛ فمنهم من يتبع خطى الشعر الغربى ، ومنهم من يرجع إلى الشعر القديم ، ومنهم من يتشبث بالثورة والمقاومة ، ومنهم من يحاول المضى قدمًا فى دمج التقليد بالتجديد . وتجسدت تلك الآراء

المشتجرة حول قضايا الشعر فى كتاب الدكتور غالى شكرى «شعرنا الحديث إلى أين» .

أما الشعر الصينى – منذ انتهاج سياسة الإصلاح والانفتاح على العالم الخارجى – فقد تحرر من القيود الأيديولوچية والسياسية التى كبلته فى الأحقاب الماضية ، وعادت إليه معانيه السامية والعاطفة الصادقة ، ثم ما لبث أن وقع فريسة التيارات الأدبية الغربية التى ابتلعته ، وتسابق الشعراء الصينيون إلى الاقتباس والمحاكاة من المذاهب الأدبية الأجنبية ، وشهدت الساحة الأدبية فى الصين ظواهر غربية مثل : الغموض ، واللاوعى ، واللامعقول ، والسعى وراء تصوير الأشياء التافهة والأشياء الإباحية .

وفى عصر العولمة ، أو بالأحرى فى التسعينيات ، بدأ الشعر الصينى والشعر العربى يُعيدان تقييم تجاربهما الشعرية خلال فترات التجديد والاقتباس من الغرب بما يتلاءم مع أوضاعهما القومية فى ضوء المتغيرات العالمية المطردة .

الشاعر آى تشينغ : حياته وأعماله

فى أحد أيام الشتاء القارس فى عام ١٩١٠ فى شمال الصين الحزين ... كانت الشمس ناقهة من ضعف الشتاء ، متربعة فى دست الأفق ، .. وفى محافظة جين هوا التى تئنُّ تحت وطأة آلامها وعذاباتها بمقاطعة تشجيانغ .. كانت الدنيا على موعد فى السابع والعشرين من

مارس فى العام نفسه مع ولادة الطفل جيانغ هاى تشينغ الذى انبثق من أسرة إقطاعية ، ولكنه عانى من عنت أسرته قبل أن يرى نور طفولته ، وقذفت به الأقدار إلى أسرة فلاحية معدومة قامت على تربيته ورعايته بعد نبوءات السحرة وقارئى الطالع أن «الرضيع الصغير» نذير شؤم ومن منكودى الطالع .. ليتغير مصيره .. وتتغير سيرته بعد أن شعر «الرضيع» - وهو ما زال فى قماطه - أنه واغل على مائدة الوجود .. هبط الدنيا لا رغبة فيها ، ولا رغبة منه .. وأصبح الحزن والطفل صنوين حتى قضى الأخير نحبه عام ١٩٩٦ .

كبر الطفل الغرير ، وشب عن الطوق ، وبدأ يتحسس «الصخور» فى مشوار حياته ؛ فقد سارت به الحياة ظالعة عرجاء حتى كلت من الظلع وتعبت من العرج ، وذاق الصبى الناشئ حيف الحياة وتعنت الزمن ، ثم ما لبث أن أظهر توقًا وشغفًا بالفن والرسم والتحق بأكاديمية البحيرة الغربية للفنون الجميلة فى يوليو ١٩٢٨ بحثًا عن مرفأ النجاة والخلاص وتمسكًا بأهداب الأمل أملاً فى حياة أفضل ، ولكن ظل الشاب كئيبًا منقبضًا امتحنته الأحداث ، وهصرته الأيام ، وتحدته الأقدار ؛ فصوبت إلى آماله ضرباتها القاسية ، وسددت إلى أحلامه سهامها القاضية . وفى ربيع ١٩٢٩ سافر إلى مدينة النور - باريس - بحثًا عن بصيص نور يبدد ظلمات نفسه ، وطلبًا للعلم والمعرفة ويروى ظمأ شغفه بالرسم والفن فى جامعات فرنسا التى فجرت ينابيع الشعر داخله ، ولاح هلال عبقريته فى عنان السماء ، وسطعت أضواؤها فى عقله الشاب ، فكان لها الغلبة والانتصار على كل ما عداها ، ونشر باكورة أعماله الشعرية فى باريس ،

كما منحته فرنسا فرصة سانحة لقراءة العديد من الأشعار الحديثة بالفرنسية ، وأبدى إعجابًا شديدًا بالشاعر البلجيكى العظيم Verhaerem . ومع ذلك فقد قضى شاعرنا ثلاث سنوات عجاف فى فرنسا ذاق فيها صعوبة العيش ومرارة الفاقه ، ووصل به الحال فى بعض الأحيان إلى حد الإدقاع ، بيد أنه كان يشعر بالغبطة ويقول : «كنت روحًا تحلق فى ظلال الثقافة التى تزخر بها باريس ، تحلق وتحلق رغم فقرها ، ظللت على هذا النحو طوال السنوات الثلاث التى قضيتها هناك» . وفى عام ١٩٣٢ قرر العودة إلى إدراجه وأقرانه فى مدينته شنغهاى كاسف البال مضطرب البلبال .

عاد إلى وطنه مهيض القلب ومثخن العواطف بجراح بليغة كما لو كانت نزلت به نازلة أو اجتاحته جائحة ، وشارك فى حركة الفنون الجميلة ، وانضم إلى رابطة اتحاد الكُتَّاب اليساريين عام ١٩٣٢ ، وأخذ ينهل من الفن والأدب بأنصبة وفيرة ، ويحلق بخياله الشعرى فى جوزاء الفضاء ، ولكن براثن الخيانة والإمبريالية تنشب أظافرها ويُزج به فى غياهب السجن لأسباب سياسية واهية ، وداخل جدران السجن ارتعدت فرائسه وقدح زناد ذهنه ليكتب رائعته الشعرية «مرضعتى داياناه» ممهورة باسمه الأدبى «آى تشينغ» الذى ظل يستخدمه نحو خمسة وأربعين عامًا جراء الآثار النفسية السيئة التى خلفها السجن على سمعته الأدبية وشهرته الفنية .

وشهد عام ١٩٣٦ إصدار أول ديوان لشاعرنا الذى آثر أن يكون عنوانه «مرضعتى داياناه» ، ولا مندوحة فى ذلك ؛ فقد كانت هذه القصيدة

– ولا زالت – بمثابة بيضة الديك بين قصائده ، وفجرت قنبلة شهرته داخل الأوساط الأدبية والفنية . وتغص القصيدة بالأسى والحزن العميق ، ويعلن فيها الشاعر تمرده على أسرته التى لفظته وهو يحبو فى رقماطه وينسب بنوته إلى مرضعته «داياناه» . تعال نستمع إليه وهو يقول فى صوتٍ متهدج يقطع نياط القلب :

أنا ابن أحد ملاك الأراضى

لكن تربيت على حليب مرضعتى داياناه

لذا فأنا ابن داياناه

لقد اغتدى اسمها له مفخرة ، واغتدت به تباهى بأن صار لها فى أدب الدنيا صفحة مرموقة ومقام معلوم ؛ فقد كانت تأسر روحه ، وتخلب لُبَّه ، وتسيل عبراته ، وتصعد زفراته . لقد ظل يذكرها فيبكيها ، ويندبها فيرثيها .

وبعد أن خاض الشاعر عُباب الحياة وشرب من تجاربها الكثير تدفق نتاجه الشعرى الذى يحمل فى أعماقه فكرًا ناضجًا وأسلوبًا مشرقًا واختلاجًا بالأمل ينبعث من معاناة الواقع المرير ، وكان يردد دائمًا أن : «الشعر يعد نوعًا من الأسلوب الأدبى الأكثر تجسيداً للحياة الاجتماعية ، ويتحلى بالخيال الخصب والمشاعر المتدفقة ، ويعبر – دائمًا – عن العواطف والمشاعر بصورة مباشرة» ، وهنا يحدد الشاعر – على نحو من الأنحاء – وظيفة الشعر التى تجسدت بجلاء فى قصائد ديوانه الثانى بعنوان «البرارى المقفرة» الذى ضم مجموعة القصائد التى كتبها

الشاعر منذ إطلاق سراحه من السجن فى أكتوبر عام ١٩٣٥ إلى عشية اندلاع حرب المقاومة الصينية ضد اليابان (١٩٣٥ - ١٩٤٧) ، والتى جسَّد فيها أزمة بلاده من امتهان كرامتها ، وتدنيس أراضيها من قبل الغزاة اليابانيين ، وعن ثقته فى المستقبل الواعد انطلاقًا من إيمانه بأن دماء الشهداء تجلب الشرف والكرامة ، وأن البشرية لديها القدرة على التجديد والانطلاق إلى الأمام .

ورفد شاعرنا المساحة الأدبية - غداة اندلاع المقاومة ضد اليابان - بمجموعة من قصائده التى تعد علامة مضيئة على تطور أسلوبه الأدبى والفنى ، وأبرزت للعيان أزمة بلاده وتأرجحها بين الفناء والبقاء ، لعل من أهمها : «الثلج يسقط على الصين» ، و «الشمال» ، و «شحاذ» ، و «حائكة الملابس» ، و «عربة يد» و «أحب هذه الأرض» . وتمثل هذه القصائد المرحلة الثانية من التطور الشعرى لدى شاعرنا ؛ حيث توطدت أقدامه فى عالم الشعر الحر ، وطفقت أشعاره تسجل مجده بأحرف من نور فى سجل الخلود حتى صار شاعر الصين الأول بعد كو موروا و ون ايى دوا .

ولعل من نافلة القول أن هذه القصائد تعد مرآة صادقة لمشاعر الحزن والألم الدفين التى يعتلج بها صدر شاعرنا ؛ فهو شاعر الحزن والألم ، فقد كان يندس إلى أعماق نفسه ليرى ماذا يموج بها من مشاعر وأحاسيس ، ويربطها بمشاعر شعبه وأحاسيسه انطلاقًا من اعتقاده الراسخ بأن مصيره ومصير أمته يربطهما رباط وثيق لا انفصام له فى أوقات المحن والأمم التى تواجهها الأمة قاطبة ، ويقول عن نفسه

فى غير مداراة أو مواربة : «أنا شاعر حزين ، ويجب أن أتوجه نحو الشمس لأنفض عن نفسى غبار الآلام والأحزان ، وأجعل الأمل يفيق قلبى من إغمائه بعد أن تكرست الآلام فى سويدائه ردحًا طويلاً» . ويقول فى رائعته «الأرض تولد من جديد» :

يا شاعر الحزن والمعاناة

لكى تنزع أحزان أيامك الماضية

دع الأمل يحيا

فى قلبك الذى عانى كثيراً

وعلى الرغم مما كان يحس به شاعرنا من لُغُوب الحياة وإرهاقها ، بيد أنه لم يهو ، مهاوى الضياع ، ولم يقع في براثن اليأس والقنوط ، وظل طيلة حياته يبحث عن دوائر الضوء ... يبحث عن الأماكن الخضراء فى المجتمع ليبدد الظلام الدامس الذى ملأ عليه أقطار نفسه منذ نعومة أظافره تارة ، وتارة أخرى يخترق ظلام القيود الإقطاعية والأصفاد الإمبريالية . ويقول فى قصيدته «ابتسامة» :

ابتسامة عابرة

ابتسامة صافية كريمة

بل ربما ابتسامة متسامحة

آه ،

كم أنا مستعد لأن أبذل حياتى من أجل تلك الابتسامة .

ولا غـرو أن يمضى شـاعـرنا قـدمًـا فى البـحث عن الأمل والنور والأماكن المشرقة فى أنحاء المعمورة ليقدم لنا روائع قصائده التي أشاد فيها بالنور مثل : «الشـمس» ، و «الربيع» ، و «الفـجـر» ، و «الأرض تولد من جـديد» و «أنشـودة فى مـدح الضـوء» . وعندمـا بلغت الآمـال ذروتهـا لإنقاذ الأمة الصينية ، شعر بحسه المرهف أن بلاده على أعتاب مرحلة تاريخية جديدة ؛ فأدار وجهه صوب الشمس يناديها قائلاً :

من قبور الماضى السحيق

ومن عصور الظلام

ومنذ أن عرف الموت تدفقه للبشرية

ومن الجبال السامقة النائمة

الشمس تدور نحوى

مثل عجلة من نار فوق التلال الرملية

فقد كان شاعرنا يرى أن المصدر الوحيد لإلهاماته الشعرية يكمن فى آلام الشـعب ومـعـاناته وكـوارثه ، ويقـول إن : «الآلام أكـثـر لذة من السعادة عندما كانت الصين ترزح تحت نير الاستعمار» .

السمات الفنية :

تعد قصائد آى تشينغ من الشعر المنثور ؛ فقد كان يصبو إلى بلورة أفكاره من خلال «الاجتهاد فى تجسيد عالم مشاعره وأحاسيسه دون ثمة

قيود» ، ويبين ذلك المُثل العليا الجمالية التى يؤمن بها ، كما كان يعتقد أنه لا توجد ضرورة البتة لحجب النفوس السوية ؛ لأنها أكثر جمالاً من أجساد البشر المكشوفة ، وكان يرى «الجمال بمثابة رداءً خارجيًا» ، والمشاعر الصادقة السامية التى يتحلى بها الشعر تمثل القوى المؤثرة ، ولذا لم يكترث بالشكل الجمالى الخارجى من الشعر ، وكان يؤثر اللغة السهلة البسيطة الجلية التى تنأى عن الغموض والإبهام . ولم يهتم شعره أيضًا بالتنسيق والترتيب ، بل إن معظم قصائده تفتقر إلى القافية وأكثر تحررًا من الشعر الحر ذاته .

وكتب آى تشينغ الشعر الحر عندما شهدت الصين حركة تشجيع شعر العروض وتقديم الشعر الرمزى فى الصين قادمًا من الغرب ، كما قدم ظروفًا مواتية لشاعرنا للاقتباس من الطرائق الفنية والنهل من معين فن الشعر الحر وأشعار المدرسة الرمزية فى الغرب ، ولا سيما تأثره بأشعار الشاعر الفرنسى آرتور رينبو (١٨٥٤ - ١٨٩١) .

وكانت عدسته المرهفة تلتقط الصور الشعرية من واقع الحياة الحقيقة التى تجسد مشاعره وأحاسيسه ، ويقول دائمًا إن «عقل الشاعر يتسم بقوة مغناطيسية تجاه العالم ، وهذه القوة لا تكف البتة عن تجميع وتنسيق صور الأشياء ، والتصورات والخيالات ، والأفكار المتداعية والرمز» ، ولذلك كانت الصور الشعرية لديه عبارة عن دمج المشاعر الذاتية والصور الموضوعية فى بوتقة واحدة ، واستحوذت على اهتمام القراء منذ الوهلة الأولى ، وأفاد كثيرًا من موهبته فى فن الرسم ؛ حيث كان يدبج ريشته (قلمه) فى مداد الألوان (الصور الشعرية) ليقدم لوحات

زيتية (قصائد شعرية) أكثر واقعية وحيوية ، مؤكداً أهمية تلك الصور قائلاً إن «الشاعر يفهم العالم من خلال الصور ، ويصف العالم للآخرين من خلال الصور أيضاً» .

وتجسد معظم قصائده فى المرحلة المتأخرة تداعى الأفكار داخل نفسه المتأججة المتلهفة على تحرير وطنه من ربقة الفاشية والإمبريالية ؛ ففى رائعته «الثلج يسقط فوق الصين» تتداعى الأفكار الواحدة تلو الأخرى ؛ فالمشهد أمام الشاعر (سقوط الثلج) يجعله يفكر فى الشتاء القارس وآلامه ، والمناخ المكفهر يقوده إلى التفكير بإمعان فى مصير وطنه ، وعلى هذا النحو أصبح الثلج المتطاير مادة أدبية خصبة لوصف أحوال الصين آنذاك .

ويعتبر «الرمز» من أبرز سمات الإبداع الفنى والأدبى عند آى تشينغ ؛ حيث يضطلع بدمج دلالات الرمز بالتفكير الفلسفى التجريدى ليبرز للعيان نظرته الثاقبة وبصيرته النافذة ومعرفته العميقة بالحياة والمجتمع الذى يعيش فيه ؛ فالشاعر يستخدم أشياء عادية ليرمز إلى فكرة جديدة وإيحاء جديد ، وانتهج فى ذلك أسلوبين ، أولهما : دمج الفكر الفلسفى فى بوتقة الأشياء الرمزية حتى يجعل القارئ يدرك «المعنى الضمنى» و «هدف الأشياء الخارجية» ؛ فعلى سبيل المثال فى قصيدته (المرآة) اتخذ المرآة - التى اعتدنا على رؤيتها يومياً ولا تثير فينا ثمة مشاعر وأحاسيس - رمزاً يجسد الأحوال النفسية للبشر ؛ فيقول :

البعض يحبونها لأنهم وسيمون

والبعض يتحاشونها لأنها صريحة جداً

هناك أيضًا من يكرهونها

ويرغبون فى تحطيمها

وهنا يكشف الشاعر النقاب عن خصائص الأشياء التى يستخدمها رموزاً فى قصائده ، ويضفى عليها الطابع الفلسفى التجريدى . أما الأسلوب الآخر فيظهر فى أن الشاعر ينظم أبيات شعرية فلسفية تتحلى بالإيجاز والعمق تتخلل القصيدة من أولها إلى آخرها ، ويجعل الرمز أكثر وضوحًا ، وتدخل أبيات قصيدته عالم جديد كما جاء فى قصيدة (سمكة متحجرة) ؛ إذ يقول :

كم قفزت فى الأمواج ، وسبحت فى البحر

ولكن لسوء حظك

انفجار بركانى ، أو ربما زلزال

كلفك حريتك

ودفنت فى أعماق الأرض

وهنا بيت القصيد فى قصيدة «سمكة متحجرة» يتجلى فى «سمكة متحجرة» التى ترمز إلى إيحاء واضح وجلى ، أو بالأحرى تسلط الأضواء الكاشفة على الحقيقة الموضوعية ، ومفادها : «لا توجد حياة بدون حركة ، والإنسان يعيش من أجل أن يناضل ويكافح حتى الرمق الأخير» .

وكذلك قصيدة «شارع» ترمز إلى الإشادة بالبطولة التى يشهدها الشارع الصينى فى مقاومة اليابان الذى يخوض معركة حامية الوطيس لدحر الغزاة المعتدين ، وبالطبع ليس الهدف من الكتابة وصف شارع عادى .

وترمز قصيدة «شحاذ» إلى كارثة البلاد وآلامها المبرحة ، أما قصيدة «عربة يد» فترمز إلى معاناة المزارعين والشعب الصينى بأسره ، وقعقعات عجلة هذه العربة تزيد الصورة إشراقًا وصدقًا .

وتجدر الإشارة فى هذا الخصوص إلى رائعته «حلبة المصارعة الكبرى فى روما القديمة» التى نعتبرها تاج قصائده الشعرية جميعًا ، والتى أكدت عمق خبرة الشاعر بالحياة وتدفق معارفه التاريخية واتساع نطاق رؤاه الثاقبة إزاء حتمية التطور التاريخى ليميط اللثام عن الأفعال الشنعاء التى ارتكبها «ملاك العبيد» فى روما القديمة . ويستخلص شاعرنا العظات والدروس من التاريخ مؤكدًا أن كبت روح الكفاح الوطنى من جانب الطغاة لا يدوم طويلاً ، وأن الشعوب تجهز عليهم فى ساحات المصارعة ، ويقول :

يجب أن يؤخذ أولئك الذين يقامرون بحياة البشر

ويُسَمَّروا فوق صليب الخجل

والحقيقة التى سطرها التاريخ فى صحائفه :

دين الدم سوف يسدده الدم

عاجلاً أم آجلاً

والذين يقامرون بالأموال والدماء على حياة البشر

لن ينالوا النهايات السعيدة

وأخيراً يطلق الشاعر صيحته المدوية التى تهز الأبدان والأركان فى كل زمان ومكان :

لن نكون عبيداً

نريد أن نكون أحراراً

رجل واحد يصرخ

آلاف يستجيبون

لتغيير قدرهم

وظل قلمه يغدق على حياة الأمة الصينية الأدبية قرابة نيف وخمسين عاماً ، قدم خلالها أرفع الثمار وأخلد الآثار ، وأنتج للأدب الصينى زهوراً بهية لا يزال يتيه بها على الآداب الأخرى عجباً وفخراً . وفى عام ١٩٩٦ نشبت المنية أظافرها بعد أن أصبح رتاج قلبه غير محكم كما كان ، لينطفئ مصباح هذه الحياة الحافلة النادرة المثال ، وسيظل قلمه واسمه جوهرة متلألئة على جيد الصين تباهى به شعراء الدول الأخرى .

وأخيراً تبقى «مختارات من شعر آى تشينغ» جولة فى حدائق قصائد شاعرنا ، قام بها المترجمان ؛ حيث انتزعا خلالها كلَّ زهرةٍ فوَّاحة

بين أشعاره حتى جمعا من الزنابق باقة تضم من كل لون زهرة يتوجها حسهما المرهف ، وجهدهما الدؤوب ، وامتلاكهما أعنة اللغة الإنجليزية ، وقدما ترجمة عربية نجد فيها لذة فكرية فى قراءتها ، ولا تنأى عن ينبوعها الفكرى الأصلى الصينى ، وكُتب لهما قصب السبق فى هذا المضمار ، ويصدق عليهما المثل الصينى القائل : «ما يطلبه القلب تنجزه اليد» .

د. عبد العزيز حمدى

تصدير المترجمَين

قد تكون التجربة الأولى ، وقد تكون الأخيرة ، إلا أنها ـ بكل تأكيد ـ التجربة الأثيرة ؛ فهى أثيرة بما خضناه ، أثيرة بما اكتشفناه ، أثيرة بما تعلمناه ، أثيرة بما تركت فينا ، وما نأمل أن تتركه فى الآخرين ؛ فمع كل شذا للثقافة الصينية كانت تؤرقنا أشواك حرصنا على سبر غور المعانى و الدلالات ، ومع كل اكتشاف جديد كان يرعبنا الخوف من صدق إدراكنا لطلاسم هذه التعويذة العظيمة ، ومع كل باب يُفتح كنا لا نصدق بهاء ما اكتشفناه ، ومع كل اقتراب لتحرير هذا المارد الضخم ـ الذى يسكن قلوب الصينيين ـ كنا نستكثر على أنفسنا شرف المحاولة .

نعم إن آى تشينغ هو من فعل بنا هذا : بشاعريته المفرطة ، وواقعيته الواضحة ، ببساطته المستدرجة ، وحكمته المربكة ، بكل السلطات التى يملكها داخل قلوب الصينيين ، وبكل المفاتيح التى يحملها لعبور أبواب عالم اسمه الصين .

نحلم أن تشاركونا شذا هذا العبير بعد أن أنسانا أريجُهُ أشواكَ أزهاره ،

والله ولى السبيل

المترجمان

مقدمة المحرر الصينى

إن إجبار شاعر على الصمت ـ خاصة مَنْ تعكس أعماله آلام البشر وحنينهم ـ لهو اتهام قاسٍ لأمته ؛ فالمرء يشعر أنه مدين لهذا الشاعر، ليس فقط بالتقدير الذى يستحقه، بل أيضًا بالاعتذار عن التجاهل الذى ناله أو الباعث الذى أجبره على الصمت ، و نتساءل عما كان يمكن أن يكتبه وفُقد للأبد ، ويقترن هذا التساؤل بالندم عندما نحاول تصور ما كان يمكن أن تضيفه شاعريته لأخيلتنا.

ويقدر وقوفنا أمام التساؤل السابق عاجزين بقدر ما تتداعى تساؤلات أخرى على رأسها : هل كان لشعره أن يغير من مجريات حياتنا ؟ هل كان لإبداعه أن يؤثر على تطور مشاعرنا ؟ ... لقد ضاعت كل هذه الإجابات ؛ لأن شاعرنا قد خرَّ صامتًا .

الشاعر الذى يُلَقِّب نفسه بآى تشينغ ، يكتب الشعر منذ نحو نصف قرن تقريبًا ، لكن شهدت هذه الفترة من العطاء فجوة من الانقطاع امتدت لنحو عشرين عامًا ؛ فقد بدأ خطواته الأولى على الساحة الشعرية عندما كان فى السادسة والعشرين عندما نشر مجموعته الشعرية الأولى عام ١٩٣٦ ، واستمر فى نشر أشعاره حتى نهاية الخمسينيات ، وفى عام ١٩٥٧ أرسل إلى إحدى مزارع الدولة فى

شمالى غرب الصين كجزء من الحملة المضادة للتصحيح ، ثم نُقل إلى مزرعة أخرى فى سينكيانج XINJIANG ، وخلال هذه الفترة التى تربو على العشرين عاماً استمر فى كتابة الشعر ، ولكن معظم ما كتبه - والذى يقدر بمئات القصائد - فُقد . وفى محاولة لإحصاء أبعاد هذه الخسارة يستطيع المرء أن يطلع على أشعاره المبكرة ، والتى اتسمت بالصدق دون أى مظهر من مظاهر التصنع ، الذاتية رغم سهولة إدراكها ، الصدق دون بلاهة ، درامية ، آهلة بالشخوص والأحداث ، يتسم بعضها بالموضوعية والبعض الآخر بالجموح.

وقد أدرك آى تشينغ أنه من خلال الإفصاح عن آرائه، وتعبيره عن مشاعره ، ووصفه لخبراته إنما يتحدث بلسان البشر ، وقد زاده هذا الإدراك تمسكًا بأن يكون أمينًا مع نفسه ، ليس فقط من أجل نفسه ، بل أيضاً من أجل أولئك الذين منحوه ولاءهم ، من أجل الذين مُنح هذه الهبة السماوية ليكون لسانهم.

من كلاسيكيات الأدب الصينى أنه يقدر الأعمال التى تُستمد من واقع الحياة ؛ فكتاب "الأغانى" (١) استقى مادته من الأغانى الريفية التقليدية التى آثرها أشعار Zi-ye ، والتى تعود لفترة السلالة السادسة ، و أشعار Ci التى استمدت من ساحات الترفيه ، والفتيات اللائى يروجن لتجارتهن ، بالإضافة إلى الأساطير الشعبية مثل

(١) أحد أشهر أمهات الكتب الصينية التى تضم الأغانى الشعبية الصينية " المترجمان " .

"مستثمرو الأرواح" Feng - Shen - Yang ، و "الرحلة إلى الغرب" Xiyoy Ji ، و "قصص غريبة من الأستديو" Liao- zbai zbi-yi ، والمجموعة الضخمة من الأشعار التى تعود إلى نهاية عصر مينغ (١٣٦٨ ـ ١٦٤٤) التى اشتقت مادتها من الأساطير الفلكلورية والنوادر الشعبية ، والتى جعلت هذا النمط من الإبداع يرقى إلى مصاف الأدب .

ويبزغ شعر آى تشينغ من هذا المنبت ، ولا أدل على ذلك من كثرة مريديه وعاشقى شعره ، خاصة من مَنْ هم أقل تعليماً وإن لم يكونوا أقل بصيرة ؛ فالرسالة التى تلقاها من العامل البسيط فى منجم فحم Kailuan تكشف عن الأثر الذى تتركه كلماته على هذه الفئة ؛ فالعامل اعترف بأنه لا يستطيع أن يدرك جماليات الشعر ، ورغم هذا استطاع أن يرى حياته تنعكس بين أشعار آى تشينغ ، وإن كان هذا لا يعنى أن الإعجاب بشعر آى تشينغ يقتصر على هذه الفئة فقط ؛ فرئيس قسم اللغة الصينية بجامعة الصين ـ وهو أحد المتخصصين فى الأدب الصينى فى الفترة التى تعود إلى ما قبل أسرة تانغ Tang ـ أخبرنى أنه عندما كان صغيراً وكان لديه مالاً يكفى لشراء كتاب واحد ؛ فإن هذا الكتاب كان – بكل تأكيد – جزءاً من أشعار آى تشينغ ، وهو لايزال حتى يومنا هذا قادر على أن يتلو أجزاء من أعمال آى تشينغ . و يتضح مما سبق أن هذا القارئ ـ وهو كما أسلفنا أحد المتخصصين فى الأدب الكلاسيكى ـ يقدر شعر آى تشينغ برومانسيته المعاصرة وواقعيته الفطرية ، ولم ينظر للغموض كإشارة دامغة لقيمة الأدب ورفعته .

ليس من السهل الحصول على أرقام مبيعات الكتب المنشورة فى الصين ، لكننا نعلم أنه قد بيع بالفعل أكثر من ثلاثين ألف نسخة من ديوان " مختارات من شعر آى تشينغ " الذى صدر عام ١٩٧٩ ، كما أن ديوانه الذى صدر عام ١٩٥٧ أعيد طبعه نحو ست مرات ، وبيع منه أكثر من خمسين ألف نسخة ، ولعل هذه الأرقام تكشف أن جمهور آى تشينغ لا يقتصر على فئة بعينها ، بل حتى إذا ما أخذنا بعين الاعتبار عدد السكان الضخم ، وسعر الدواوين المنخفض لتفسير هذا الإقبال ، تظل تحسب هذه الأرقام فى صالح آى تشينغ عند مقارنتها مع الإصدارات الشعرية الناجحة المباعة فى الولايات المتحدة الأمريكية ؛ حيث يعد ثلاثة آلاف نسخة رقمًا رائعًا .

إن آى تشينغ يسلط الضوء فى شعره على لحظات مجد الوطن وكرامته ، نكران الذات والتضحية لمرضعة مستأجرة ، الإحساس بالوحشة الذى يصاحب سقوط ثلج كثيف " خصوصًا مع تداعى فكرة الموت واقترانها باللون الأبيض عند الصينيين " .

البشر فى شعر آى تشينغ بشر حقيقيون ، يتميزون بالألفة ، ونستطيع أن ندركهم و نلمسهم ، بل ونستطيع أن نعايشهم أيضًا.

القراء الذين يعجبون بالمبالغة فى المشاعر ، والذين ينظرون لأى لمحة عاطفية بعاطفة مفرطة لن يستهويهم شعر آى تشينغ ؛ فنحن بصدد رؤى جديدة ، تندر فيها العبارات التى تتسم بالصنعة والتكلف . لقد أخذ مايمكن أن نسميه قالبًا وتطلع إليه ومن خلاله للحياة ، ونتصور أنه قد يتفق مع النقاد الذين لاحظوا أن القالب لايعد سوى حقيقة مصقولة بعناية صقلاً يمحو أى تشويه قد يطولها .

فى بداية كتابته للشعر سُئل آى تشينغ أيفضل أن يكتب الشعر للفن ، أم يكتبه للشعب ؟ ورغم هذا التصنيف التعسفى فإن إجابته كانت أنه لوخُيِّر لاختار الشعب دون تردد .

إنها الحقيقة التى سوف نلمسها فى هذا الديوان ؛ فالمتأمل لشعر آى تشينغ لن يسمع صوتًا لفرد واحد بل أصوت آلاف البشر ، لن يرى وجهًا لفردٍ واحد بل وجوه أمة ، لن يحيا حياة واحدة بل حياة البشر جميعًا .

ورغم كل هذا فالمدققون يرون أننا بصدد شاعر حقيقى ، عاطفة نقية ، يستمد شاعريته من ينبوع الحكمة لا من أمطار البلاغة .

فى أشعاره المبكرة أبدى آى تشينغ نزعة نحو الإفراط فى النظم والاستعارات المكنية ، كما فى قصيدة " باريس " التى كتبها فى بداية الثلاثينيات بعد عودته مباشرة من أوربا ، لكن نجاحه الفعلى والعظيم كان فى قصيدة تناول فيها السيرة الذاتية لمرضعته ؛ فقد كتبها بتداعٍ مكثف ملىء بالإيقاعات والانفعالات ، وعلى الرغم من أن ذلك قد أفضى فى بعض الأحيان إلى تكرار الكثير من المعانى وشطرات الأبيات ، إلا أن أبرز ما فى القصيدة هى قدرته على تكثيف معاناة فرد وربطها بمعاناة أمة ، والمزج بينهما من خلال استحضار الكثير من الأدلة الدامغة ؛ فقصيدة " داياناه مرضعتى " تفسر نشأة آى تشينغ ، وتعكس ما تركته من أثر على رؤيته للحياة ؛ ففيها يعرض لمشاعره المتناقضة تجاه مرضعته داياناه ، والتى تتأرجح بين الشفقة لمعاناتها ، والفخر ببطولتها ، الأسى لتخلفها ، والإيمان الراسخ بقيمتها ، الازدراء لواقعها المتدنى ، والأمل المتأجج بمستقبلها .

بينما نجده فى قصائد أخرى مثل " نافخ النفير " ، و" يموت للمــرة الثانية " يسعى لاستحضار مشهد درامى يمازج فيه بعبقرية مفرطة بين الوصف والدراما، والسعى نحو الإمساك بحقيقة تبدو – رغم بساطتها – بعيدة عن إدراك كثيرين ؛ فآى تشينغ يتميز بقدرته على اكتشاف معانٍ جديدة داخل أحداث مألوفة ، كما فى وصفه لنافخ النفير الذى اعتاد أن يستيقظ قبل شروق الشمس ، يستيقظ دون أن يوقظه أحد ، ومن خلال هذه الملاحظة يتساءل عن القوة التى تحث نافخ النفير على الاستيقاظ ، ويجد ضالته المنشودة فى أنها تلك العاطفة المتأججة التى تملك وجدان نافخ النفير ، عاطفة تدفعه لينتظر الفجر ، عاطفة تحمل مزيجاً من " الحب ، والصبر ، والأمل " ، عاطفة يستطيع المرء أن يلمسها لدى ملايين الصينيين ؛ ففى الصين ـ خلال الفترة المتزامنة لكتابة القصيدة ـ كان الشوق للفجر لايمثل حالة فردية لنافخ النفير بل حالة شعب بأثره، حالة شعب ينهض مبكراً، يعتمد ـ بصفة أساسية ـ على ضوء النهار ليعمل مقارنة بكثير من الدول المتقدمة الأخرى التى تعتمد فى إضاءتها على وسائل الطاقة الأخرى ، كما أن فجر اليوم الجديد يحمل دلالات ثرية ووعداً خاصاً .

القصائد الأحدث مثل " صمتًا .. صوت يتكلم " ، و" القمة الهائجة" حاول فيها أن يعرض لأحد الأحداث التى مرت بالصين فى العقود الأخيرة ، والذى أصبح بعد ذلك نقطة تحول فى سياسة الصين الداخلية وتاريخها المعاصر ـ وهو حادثة تيان آنمين التى وقعت فى الخامس من أبريل ١٩٧٦ ؛ فقد تحدث فى هاتين القصيدتين عن تضحيات الشباب ، وشجاعتهم ورؤيتهم الثاقبة فى مواجهة خداع لا يوصف .

استمر آى تشينغ فى كتابة الشعر ونشره - لحسن الحظ - على مدار ما يربو على الخمسين عاماً ، محتفظاً بقدرته على الاستحواذ على إعجاب جمهوره الضخم ؛ فعندما ألقى أشعاره فى مكتبة بكين العامة فى ١٤ مارس ١٩٨١ زحفت آلاف الجماهير للإصغاء إلى أشعاره ، استمعوا عبر مكبرات صوت ضخمة لقصائد " الثلج يسقط فوق الصين " ، و" إعلان الفجر " ، و" ساحة المصارعة الكبرى فى روما القديمة " ، وجميعها ضمها هذا الديوان .

اعترف آى تشينغ بتأثره بالعديد من الشعراء لعل أبرزهم الشاعر الفرنسى رامبو **Rimbaud** ، و الشاعر الروسى ييسينين **Yessnin** ، والشاعر الأمريكى وولت هويتمان **Whitman** ، و الشاعر الروسى ماياكوفسكى **Mayakovesky** ، والشاعر البلجيكى فرهارين **Verhaeren** ، ومن كل هؤلاء يحتل وولت هويتمان الصدارة ؛ فالمتأمل لعاطفة آى تشينغ وحساسيته للحياة يجد أنها تصطبغ برؤى هويتمان ، وإن كنا لا ننكر أن هناك اختلافاً مهماً قد يميز بينهما ؛ فآى تشينغ يفتقد لجراءة هويتمان فى حديثه عن خبراته ورؤيته لحياته واتخاذه لذاته تجسيداً للبشر والحياة ، بينما نجد آى تشينغ قد تبنى موقفاً أكثر تواضعاً ؛ إذ سعى لأن يتحدث بلسان الشعب ، وإن كان الاثنان قد استمدا إلهامهما من المنبع ذاته.

لقد ذكر آى تشينغ أن صعوبات الحياة ومعاناة البسطاء والريفيين التى لا تطاق دفعته دفعاً إلى الكتابة ، كما ذكر أن معظم أشعاره نظمها

أثنـاء فترات الحـروب التى مـرت بالصين ، على مـدار ما يـربـو من النصـف قرن تقريبـاً من الحرب الصينية اليابانيـة ، إلى الصراع من أجـل البـقـاء القـومى ، ثم حـرب التـحـرير ، وبعـدها الكفـاح لإيجاد أمة جديدة ، ثم الاضطرابات الداخلية التى شهدتها الصين ، والتى عرفت باسـم الثـورة الثقافيـة ، وإن كان هذا لايعنى أننا يمكن أن نصنف آى تشينغ كأحد شعراء الحروب فهو ليس مثل دو فو Du Fu ـ أحـد أشـهر شـعراء الحـرب فى الصين ـ فعلى الرغم من أن كليـهما كان لديـه الكثير من القـراء إبان فترات القتـال التى شـهدتها الصين ، و هنـاك الكثيـر من التشابـه الذى يجمعـهمـا ؛ فكل منهما شـاعـر أخـلاقى ، لديـه عاطفـة كبيرة ، تأثر بشـدة بمعانـاة الآخرين ، إلا أن هنـاك تباينـاً واضحـاً فى الأسلوب واللغـة والشـكل والصياغـة بين الشاعرين .

يمنح الصينيون مكانةً خاصةً للشعراء الذين يتناولون معاناتهم ، ويكشفون الخداع الذهنى الذين يتعرضون له ، ويتحدثون عن مأساة وعدم عقلانية الحروب ، والمتع البسيطة فى حياة الأسر ، وتلك المشاعر التى تجوس بين البشر ، والتى يختزلونها فى كلمة بسيطة يسمونها بالإنجليزية Love "الحب" ، لكننا من الصعب أن نعبر عنها فى اللغة الصينية بكلمة واحدة .

وفى أوقات المصائب القومية ، تبرز أشعار دو فو بكلاسيكيتها ، وأشعار آى تشينغ بحداثتها ؛ لتؤازر وتواسى الأمة ، وتصبح بمثابة مشاعل على طريق خلاصها.

يتميز آى تشينغ بأنه يملك صوتًا يبعث البهجة في النفوس ؛ فرغم كل الحزن و القسوة والظلم التى فتش فيها عن كلماته ، إلا أنه أحب الحياة ، نظر إلى عمق المأساة والألم ، ولم يتراجع بعيداً ، تمسك بالإصلاح والطيبة المطلقة لجوهر الحياة والبشر ، هذا التفاؤل الذى من النادر أن نجده لدى كثيرين . بموهبته وقدرته استطاع أن يشارك فيه أمة ، وتلك المرونة والتفاؤل التى تميز بها ، والجراءة فى مواجهة الصعوبات و الإحباطات هى التى منحت شعر آى تشينغ مذاقًا خاصًا ، إنها تلك المرونة المبهجة فى مواجهة الكوارث ، التى مكنت الصينيين أن يقولوا دائمًا : إنه لاشىء فى الصين يفوق الأمة ، وأن يناضلوا بنفس روح تجاوز المشاكل التى سوف تُمكِّن الصين من أن تنجز آمالها العظيمة فى فجر القرن الواحد والعشرين .

كلمة المحرر عن الترجمة :

إن ترجمة الأدب ـ وفق أفضل التقديرات ـ مغامرة غير مأمونة العواقب ، بل لا نبالغ عندما نقول إن سقطات الطريق تفوق مشاعله، ويزداد الأمر صعوبة عندما يتعلق الأمر بالشعر ؛ فوفقًا لمقولة الشاعر الأمريكى روبرت فورست (١٨٧٤ ـ ١٩٦٣) Robert Frost الشهيرة فإن الشعر هو ذلك الجنس الأدبى الذى يُفقد بالترجمة ، ورغم كل ذلك فإننا لا نستطيع أن ننكر أن رسالة نقل الآداب الرفيعة من لغة إلى لغة أخرى هى رسالة جليلة وجديرة بالاحترام .

الإعداد لترجمة هذا الديوان ـ من اللغة الصينية إلى الإنجليزية ـ تطلب الشراكة والتعاون بين أطراف عدة ، وقد يكون من الجدير بالذكر أن نعرض بإيجاز لبعض منها ، خاصة وأنها سوف تلقى الضوء على بعض الجهد الذى بُذل ليخرج هذا الديوان إلى حيز والوجود ، كما أنه قد يكون لبنة للتطور المستقبلى المنشود للترجمة من الصينية إلى الإنجليزية .

تعاون فى إصدار هذا الديوان كل من دار نشر اللغات الأجنبية فى بكين ، ومطبوعات جامعة إنديانا فى بلومنجتون ، وترجم معظم قصائده ـ إلى اللغة الإنجليزية ـ **Eugene Chen Eoyang** ، والذى تولى أيضاً تحرير النص الإنجليزى، كما شارك فى ترجمة بعض القصائد كل من **Peng Wenlan** و **Marlilyn Chin** ، و أضيفت بعض قصائد أخرى كان قد سبق ترجمتها ضمن مشروع ترجمة الأدب الصينى .

وباعتبار أن هذا الإصدار يعد بمثابة بداية التعاون فى مجال النشر بين دار نشر اللغات الأجنبية فى بكين ، ومطبوعات جامعة إنديانا فى بلومنجتون فإنه قد خضع لاستشاريين فى كلا المؤسستين ـ والذين شاركوا بإيجابية واستفاضة فى مراجعة وتحرير النص من أجل نشره ـ كما تطلب إنجاز هذا العمل الضخم تبادل الخبرات ، بين كل من الجامعات فى الصين والولايات المتحدة الأمريكية .

وبموجب هذه الوثيقة نعبر عن شكرنا وامتناننا البالغ لكل من ساهم فى إصدار هذا العمل : ففى بكين بذل Sun Zhilong جهداً ضخماً لتحرير النص الصينى ومراجعة الاقتراحات والنقد الذى سبق أن وجه لنماذج مشابهة ، وعاونه فى ذلك كل من : Shen Zgen و Bonnie Mc Dougall و Huang Jingying ، وفى جامعة إنديانا راجع كل من Irving lo و leo lee النسخة الأولية لترجمة هذا الديوان ، وقد أضاف leo lee – بصفة خاصة – الكثير من النقاط التى لم تكن تكشفها الترجمة المباشرة للنص . وعلى الرغم من أن ترجمة كل قصيدة قام بها فرد واحد ، إلا أنه قد تم مراجعتها من أكثر من مترجم ، وأضاف كل منهم مساهماته الجوهرية والفعالة للنص المترجم ؛ فقد كانت صفة التشارك هى الصفة الغالبة على هذا العمل حتى فى اختيار الأشعار للترجمة ، بل إنه قد تم تبادل الاستشارات فى هذا المجال بين جهتى النشر ، وبعد هذا تم تجميع كافة الاقتراحات وعُرضت على آى تشينغ وزوجته للفصل بينها ، وعلى الرغم من كل هذا الجهد الذى بُذل لإصدار هذا العمل إلا أن الخطأ فى التقديم والترجمة يظل أمراً وارداً ، ونحن نعول على القراء والنقاد لتدارك ما لم ندركه .

إن ترجمة الأشعار الصينية الحديثة تتسم بمشكلتين رئيسيتين : أولهما نستطيع أن نفسره قياساً على اللغة الألمانية ، والتى تشترك مع اللغة الصينية فى الفقرات الطويلة والكلمات المتصلة التى تنتج من التقاء أكثر من كلمة منفردة ؛ فهذا الالتحام يترتب عليه عند الترجمة

جمـلاً غير متكافئـة أو معـادلة للنـص الشعـرى الأصلـى ؛ لذا يقـال إن قـراء اللغــة الألمانيــة يحتاجــون إلى ذاكرة قويـة حتى يستطيعوا أن يتمـوا الجمــل ، والتقطيــع الذى يحـدث عند عمليـة الترجمـــة قـد يترتب عليـه الكثير من الإبهام ؛ فمن فـعل وماذا وأين ، إلا أن كل هذا لانعــده مشكلة جسيمة طالما أن القراءة الكاملة للنص قد تكشف عن المعنى كاملاً .

ورغم ذلك فإن التدفق الشعرى قد ينال منه عقبتان رئيسيتان : أولهما أنه فى بعض الأحيان قد تفقد القوة التكرارية لبناء اللغة الصينية ، والثـانيـة أنه فى بعض الأحيـان يتطلب إطالة بعض أبيـات الشـعـر من خلال إضافة الكثير من حروف العطف والكلمات التى قد لاتضيف جديداً للمعنى .

إلا أننا يجب ألا ننسى أن اَى تشينغ اتسم بكتابته للشعر الحر غير المضبوط التى تغلب عليه الانطباعية ، ومن ثم فلا تثريب على المترجم من بعض الحرية النحوية عند الاقتضاء .

على أى حال فـبينما قد تؤدى الترجمة إلى عكس ترتيب الكلمات داخل الأبيـات ؛ فـإن هذا التـعـديل قد يترتب عليـه إعـادة ترتيب بعض الأبيات عندما يكونون معًا وحدة نـحوية واحدة ، ورغم كل هذا التـعديل فإن الهدف الأساسى يظل ماثلاً أمامنا دائمًا ، وهو الحفاظ على التدفق الشعورى واللغوى للقصيدة .

هناك مشكلة أخرى اقترنت ببعض القصائد الفردية ؛ ففى سعينا لتجاوز أى تشويه قد يحدث للشكل الشعرى ، ويحوله إلى نصوص عند ترجمة بعض الكلمات التى تتضمن إشارة أو تلميح قد يفقد فى الترجمة أو لا تكشفه نتيجة لاختلاف ثقافة المتلقى ؛ فقد تم إضافة بعض الهوامش لتفسيرها فى أضيق الحدود .

بكين

١ مايو ١٩٨١

مقدمة الشاعر

ـ ١ ـ

" ... نبحث عنك منذ عشرين عامًا ..."

"... ننتظرك منذ عشرين عامًا ... "

" أثناء اضطرابات عصابة الأربعة لم يكن أى منا يدرى ما حل بك...، لقد ظننا أنك من المحتمل .. قد مت ..." .

المقتطفات السابقة هى أجزاء من خطابات تلقيتها اعتبارًا من شهر أبريل عام ١٩٧٧ ، بعد نشر إحدى قصائدى التى أعقبت توقف دام ردحًا من الزمن ، معظمها يحمل مشاعر متشابهة تبين مدى اهتمام القراء بى .

" الكاتب الذى لا يكتب ، أو الذى لا تنشر أعماله

ربما كان كمن لاوجود له

ومن لاوجود له ، كمن توفى

وأنا أبعد ما أكون عن الموت " .

لسنوات عدة أرادت كل من عصابة الأربعة ولين بياو أن يُحرِّما كافة أشكال الشعر ؛ فالأعمال التى صاغها كُتَّاب لا يعتنقون فكرهما أدرجت جميعًا فى قائمة سوداء وصودرت ، لكن طالما كان الشعر ينتمى إلى الشعب ؛ فالشعب هو الذى سوف يحميه.

" .. ذهبت إلى كافة الأماكن لكى أشترى أشعارك ، لكننى لم أستطع أن أجدها فى أى مكان ..." .

" .. بحثت فى كل موضع عن أشعارك ، وعندما كنت أجد أيًا منها كنت أنسخه سرًا وأخفيه ...".

" .. فى سعىٍ لأحتفظ بنسخة من أشعارك سليمة لففتها فى حقيبة بلاستيكية وأخفيتها فى جرة أرز ..." .

" ... بعد زلزال تانغ شان Tangshan وجدت نسخة من أشعارك تحت دولاب ..." .

أحد أصدقائى أرانى حديثًا نسخة من ديوان " دايانا مرضعتى " نشر منذ نحو اثنين وأربعين عامًا ، وطلب توقيعى عليها ، فصدرت التوقيع بالأشعار التالية:

مثل يتيم

فُقد فى الأرض

اعتاد أن يرى لهيب الحرب

ويتنفس دخان البارود

عانى كثيراً من العذاب والبؤس.

انفصلت عنك لنحو أربعين عامًا أو أكثر

و الآن التقينا أخيراً

طالتك الكدمات والندوب ،

ولكن وجهك الأمين حفظ لم يمس

ياله من وجه رائع !

عامل من منجم فحم kailuan كتب لى :

" أنا لا أستطيع أن أفهم الشعر ؛ فقد ولدت فى الريف ، ولكن حينما أقرأ أشعارك تعيد لى ذكريات المكان الذى أمضيت فيه طفولتى ، تجعلنى أفكر فى قريتى الصغيرة الحزينة، كيف لسحر الشعر أن يكون بمثل هذه القوة ؟ لست أدرى .. كل ما أعلمه هو أننى عامل بسيط اعتاد أن يفكر فيك ويهتم لأمرك ... بمجرد أن يصلك خطابى وترى بنفسك مشاعر شخص اعتاد أن يفكر فيك طوال العشرين عامًا الماضية أو أكثر فإن عقلى سوف يكون فى راحة تامة... " .

" كل شيء رائع الآن "

" أخيراً عدت "

" أنت مازلت حياً وبصحة جيدة " ،

" يجب أن تبدأ فى الكتابة ثانية ! "

بإيجاز فإن الكثير من القراء أرسلوا لى خطابات عبروا فيها عن سعادتهم لأنى قد عدت إلى كتابة الشعر مرة أخرى .

بلغت من العمر هذا العام ثمانية وستون عامًا ، و قد لا يعتبر البعض هذه السنوات كثيرة ، إلا أننى لا أستطيع أن أفر من حقيقة أن العديد من رفقاء جيلى قد رحلوا بالفعل ، بينما أنا مثل ثمرة جوز صغيرة فقدت فى أحد الأركان البعيدة فاستطاعت أن تصمد على قيد الحياة .

ـ ٢ ـ

ولدت فى إحدى المناطق الجبلية فى محافظة جين هوا بمقاطعة تشجيانغ فى ٢٧ مارس ١٩١٠ ، وكان أحد العرافين قد تنبأ لوالدىّ بأنى سوف أكون نذير شؤم لهما ، ولسوء حظى عانت أمى كثيراً عند ولادتى ؛ لذا أصبحت مكروهاً من جانب العائلة ، ومرفأ لغضبهم عندما كانت تعصف بهم أنواء الحياة ، حتى إنه كان لا يسمح لى بأن أدعوهما أبى وأمى ، بل كان لزامًا علىَّ أن أدعوهما عمى وعمتى ، لقد بدا الأمر كما لو لم يكن لى أبوان على الإطلاق ، كل هذا جعلنى أمقت قارئى الطالع ، والعرافين ، والخرافات، والمتاجرين بها .

عندما كنت فى التاسعة – فى المرحلة الأولية أثناء اندلاع ثورة الرابع من مايو ١٩١٩ – كان الكتاب المدرسى المقرر علينا يتضمن بعض الأفكار المستنيرة التى تطالب بالديمقراطية ، وتشجع على العلم ، وتحث النساء على أن يصبحن أكثر تحرراً " ولايربطن أقدامهن " (١) ، كانت هذه الأفكار تجد هوى فى قلبى حتى إنه عندما طلب منا مدرس اللغة فى المرحلة المتوسطة أن نكتب مقالة عن قراءاتنا الخاصة ، كتبت موضوعاً تحت عنوان " إن لكل زمن أدبه الخاص " ، وفيه تناولت بالنقد قراءة الأعمال الأدبية الصينية الكلاسيكية ، وما قد تخلفه من أثر سلبى نتيجة لما تذخر به من خرافات وأساطير .

عقَّب مدرسى على ذلك الموضوع بقوله إن معلوماتك عن هذا الأمر ليست كافية ، وعليك أن تقرأ للوشيون(٢) وهوشى(٣) ، وعلى الرغم

(١) فى الصين الإقطاعية كان يتحتم على الفتيات أن يربطن أقدامهن سوياً "المحرر".

(٢) لوشيون (١٨٨١ ـ ١٩٣٦) : كاتب قصة قصيرة وشاعر وناقد ، وكان أحد أبرز المدافعين عن حركة الرابع من مايو ، وهو ينحدر من أسرة إقطاعية ، وفى مرحلة شبابه تبنى الأفكار التقدمية ، ووجه نقداً لاذعًا للمجتمع الإقطاعى ، ومن أشهر أقواله " إن أهم شىء هو إصلاح الشخصية القومية ؛ فمهما كان شكل النظام ديكتاتوريًا أو جمهوريًا أو أى نظام آخر فإن الأمر أشبه بتغيير لافتة الدكان رغم أن السلع لم تتبدل ، ومن ثم يصبح التغيير غير ذى جدوى " المترجمان ".

(٣) هوشى (١٨٩١ – ١٩٦٢) : هو أحد أبرز المفكرين الصينيين الذين ينتمون إلى الطبقات العليا ، عمل على إدخال المذهب البرجماتى إلى الصين ، وتبنى شعار " ترتيب تاريخ الأمة والتركيز على النقد التاريخى لمقاومة انتشار الماركسية فى الصين ، كان شخصية بارزة فى حركة الإصلاح الأدبية التى بدأت عام ١٩١٧ " المترجمان ".

من أنه لم يكن هناك خطأ فيما كتبه مدرسى ، لكنه لا يزال يسكننى الكثير من التحفظات على تعليقه.

" ثورة الرياح تنبئ بالعواصف " ، نظم الطلاب مظاهرات متكررة يلوحون بالأعلام ، ويرددون الشعارات أمام المحلات التى تبيع البضائع اليابانية [1] واقتحموا " مراكز تجارة الأفيون " [2] ، ومن ثم ضربت عواصف الثورة هذه المدينة القديمة ، وللمرة الأولى أفهم معنى الصراع الطبقى ، المعنى الذى ارتبط بعد ذلك بقدرى .

فى شبابى كنت أجد السلوى والتعزية فى الرسم؛ لذا تقدمت بعد تخرجى من المدرسة المتوسطة الصغرى فى عام ١٩٢٨ ، لامتحان القبول بقسم الرسم فى مدرسة البحيرة الغربية القومية للفنون الجميلة ، والتى تعرف الآن باسم " أكاديمية هانتشو للفنون الجميلة " ، واجتزت ذلك الامتحان بتفوق ، وقبل نهاية الفصل الدراسى الأول طلبنى مدير

(١) فى عام ١٩١٧ انضمت الصين للحلفاء وأعلنت الحرب على ألمانيا ، ورغم أن الصين لم تكن لها ناقة أو جمل فى هذا الصراع إلا أن هدف الصين الوحيد من الانضمام للحلفاء هو العمل على درء التوغل اليابانى فى أراضيها، وفى مؤتمر الصلح الذى تلى الحرب اتفقت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية على منح اليابان مقاطعة شاندونج الصينية ، وقد شعرت حكومة الصين وشعبها بالمرارة من هذه الخديعة التى يطالبها بها حلفاؤها ، واندلعت مظاهرات ضد اليابانيين ، وفى عام ١٩٢٢ عقد مؤتمر فى واشنطن لدراسة قضية شاندونج ، وفيه وافقت اليابان على التخلى عن شاندونج ؛ مما أنهى الصراع حول هذه النقطة " المترجمان " .

(٢) كانت هذه المراكز تبيع الأفيون بشكل سرى " المحرر " .

المدرسة، وقال لى إنك لن تتعلم الكثير هنا ، من الأفضل أن تذهب للدراسة فى الخارج ، وهكذا شددت الرحال فى ربيع العام التالى إلى فرنسا محملاً بكثير من الأحلام الرومانسية.

كنت طالبًا معدمًا فى باريس ؛ فوالداى لم يكونا على استعداد أن يعينانى بأية مساعدة مالية ؛ لذا التحقت بالعمل فى مصنع صغير للحرف اليدوية ، وفى وقت فراغى أقبلت على الدراسات الحرة من خلال الذهاب إلى أستديو الفن الحر فى " MONTPARNASSE " لتعلم رسم الأشكال و الإسكتشات ، كما قرأت العديد من الكتب المترجمة باللغة الصينية عن الفلسفة والأدب ، بالإضافة إلى روايات عن الواقعية الحديثة ، وقصص و أشعار عن ثورة أكتوبر السوفيتية ، وفى كثير من الأحيان كنت أذهب إلى قاعة لينين فى منطقة العمال لأشاهد أفلام مُنع عرضها فى الصين ، قرأت أيضاً العديد من الأشعار الحديثة بالفرنسية، وإن كانت الأثيرة عندى قصائد الشاعر البلجيكى العظيم فرهارين ، والتى تركت أثرًا عميقًا بداخلى ؛ فهى تعكس التوسع الكبير للمدن فى العالم الرأسمالى وما يخلفه ذلك من دمار للمناطق الريفية المحيطة بها .

باختصار كنت روحًا حرة تحلق فى ظلال الثقافة التى تزخر بها باريس ، تحلق وتحلق رغم فقرها، ظللت على هذا النحو طوال السنوات الثلاث التى أمضيتها فى باريس.

ـ ٣ ـ

كشفت أحداث الثامن عشر من سبتمبر ١٩٣١ الأزمة القومية التى يعانى منها شعب الصين [١] .

رحلتُ من مارسليا بعد أربعة أشهر من حادثة ٢٨ يناير ١٩٣٢ للعودة إلى الصين، ولكن عندما وصلت الباخرة إلى هونج كونج فى العشرة أيام الأولى من شهر أبريل توقفت لمدة أربعة أيام كان حزب الكومنتانج مشغول بالتفاوض على اتفاق شنغهاى لوقف إطلاق النار مع الإمبراطورية اليابانية المستعمرة [٢].

عندما وصلت إلى شنغهاى كانت الحرب قد وضعت أوزارها بالفعل ، وسقطت الصين مرة أخرى فى أغلال الذل .

باضطراب كامل عدت إلى منزلى فى جين هوا لأمضى أقل من شهر ، وبعدها رحلت إلى شنغهاى لأنضم إلى رابطة الأدباء اليساريين ، ومع بعض الأعضاء الآخرين نظمنا جمعية " وطن الربيع للفن " .

عندما كنت فى باريس حاولت كتابة الشعر، ودونت فى دفتر مسوداتى بضعة أسطر ومضت فجأة فى ذهنى ، إلا أننى سرعان

(١) حادثة شنغهاى للعدو اليابانى الذى اعتبره البعض أحد الأحدث التى قرعت أجراس الحرب العالمية الثانية " المحرر".

(٢) فتحت القوات اليابانية جبهة ثانية ضد شنغهاى لكى تحول الأنظار عن منشوريا " المترجمان ".

ما نسيتها ، وفى رحلة العودة من باريس نظمت بضعة أشعار أخرى ، لكننى لم أفكر يومًا فى أن أُصبح شاعرًا محترفًا ، وفى أحد الأيام رأى رفيقى فى السكن ـ وهو شاعر أيضًا ـ قصيدة لى على المنضدة تسمى " اجتماع " تسجل للاجتماع الذى تم فى باريس لأعضاء الرابطة الكبرى ضد الإمبريالية .. أخذها وصدرها بالرسالة التالية " عزيزى المحرر أرسل إليك هذه القصيدة لتنشرها ، فإن لم يكن فى استطاعتك نشرها فمن فضلك أعيدها " ، وأرسل هذه الرسالة مع القصيدة إلى نشرة دورية يسارية لـ " تيم " " Time " .. و فوجئت بنشرها ، ولم أكن أتخيل أنه يمكن أن تنشر قصيدة لى ، واعتبارًا من هذه الحادثة الصغيرة بدأت أغير اتجاهى من الرسم صوب الأدب ، وفى النهاية قررت أن أكرس حياتى للأدب تمامًا.

نظمت رابطة " وطن الربيع " للفن فى يونيو من نفس العام معرضًا فى شنغهاى فى الطابق الثانى من مبنى واى . ام . سى . آيه ، وقد ساندنا الأديب لوشيون كثيرًا ، حتى إنه أقرضنا مجموعته الثمينة من لوحات الفنان الألمانى KATHE KOLLWITZ لكى نضمها إلى معرضنا ، وترك توقيعه الرقيق فى كتاب الزوار ، بل إنه ساهم أيضًا بخمس يوانات (١) من قيمة استئجار قاعة العرض ، وعندما سلمت له إيصالاً نظير هذا

(١) عملة صينية تقترب فى قيمتها من الجنيه المصرى " المترجمان " .

المبلغ كوره بصمت وألقاه بعيداً ، كانت هذه هى المرة الوحيدة التى قابلت فيها هذا المفكر العظيم .

فى ليلة الثانى عشر من يوليو كانت رابطة وطن الربيع للفن تنظم فصلاً دراسيًا للإسبرانتو [(١)] عندما هاجمنا العملاء السريون لوحدة الإدارة الفرنسية ، وبعد أن فتشونا نحو نصف الساعة ، اعتقلت أنا واثنى عشر فنانًا آخر، واتهمنا الكومنتانج بتحريض الشباب على قلب نظام الحكم ، مستغلين قانون الطوارئ سيء السمعة لكى يقننوا ممارستهم ، و وضعنا قيد الاعتقال لفترة طويلة ، وخلال تلك الفترة كتبت عدداً لا بأس به من الأشعار التى هرَّب بعضها أصدقاؤنا والمحامون الذين كانوا يزوروننا فى السجن ، وقد تم نشر معظمها بعد ذلك ، وفى سعى لتجاوز الآثار التى خلفها السجن على اسمى بدأت أستخدم اسمًا أدبيًا هو " آى تشينغ "، اعتباراً من عام ١٩٣٣ ، وتحديداً منذ أن كتبت قصيدة " دياناه مرضعتى " ، وظللت أستخدمه لما يربو على خمسة وأربعين عامًا .

أطلق سراحى عام ١٩٣٣، وفى العام التالى نشرت أول مجموعة من أشعارى تحت اسم " دياناه " .

(١) الإسبرانتو : لغة دولية مبتكرة بُنيت على أساس من الكلمات المشتركة فى اللغات الأوربية الرئيسية . " المترجمان"

ـ ٤ ـ

اندلعت حرب المقاومة ضد اليابان فى السابع من يوليو ١٩٣٧ [١] ، وفى اليوم السابق خامرنى شيطان الشعر ؛ فكتبت قصيدة بعنوان "الأرض تولد من جديد" قلت فيها :

لأن أرضنا التى ماتت يومًا

تحت السماء المتألقة

تولد من جديد

التعاسة لم تعد سوى ذكريات

لأنه من قلب الأرض الدافئ

سوف تتدفق مرة أخرى

دماء محاربينا التى سالت .

(١) انطلقت شرارة المقاومة الصينية ضد الاستعمار اليابانى فى منطقة " لوقوتشياو" التى تقع على بعد عشرة كيلو مترات جنوب غرب مدينة بكين ، فقد شنت القوات اليابانية هجومًا على القوات الصينية عند جسر ماركوبولو الذى يقع فى هذا الإقليم ، وذلك فى محاولة لتوسيع نفوذها داخل الأراضى الصينية ، لكن هبت القوات الصينية رغم ضآلة الإمكانات العسكرية الصينية لمقاومة الغزاة ، وقد واكب هذه الأحداث دعم جماهيرى مقترن بثورة عارمة ما لبثت أن انتشرت فى ربوع الصين بطول مناطق الصراع بين الصين واليابان ، انتشار النار فى الهشيم ، ولكن رغم كل هذا استطاعت القوات اليابانية احتلال بكين ، ولم ينته هذا الصراع إلا بحلول عام ١٩٤٥ . " المترجمان "

فقد غسل شعب الصين العظيم بدمائه عار سنوات الذل التى استُعبد فيها طوال المائة سنة الماضية .

تركتُ شنغهاى متنقلاً بين أماكن شتى ؛ فقد بدأت بمدينة ووهان WUHAN ، ومن هناك توجهت إلى لين فين LINFEN بمقاطعة شانشى SHANXI ، وبعد ذلك ذهبت إلى شى آن XI`AN ، ثم عدت إلى ووهان ، و انتهيت فى قويلين GUILIN حيث أصبحت رئيس تحرير ملحق "الجنوب" الذى تصدره جريدة قوانغش GUANGXI اليومية ، وخلال النصف الثانى من عام ١٩٣٩ نشرت مجموعتى الشعرية " الشمال " بعدما أمضيت ما يربو على الشهر فى شيننينغ Xinning بمقاطعة خونان Hunan .

فى ربيع عام ١٩٤٠ ألقيت قصيدة " المصباح اليدوى " فى المركز الثقافى لمدينة تشونغ Chongqing ، وبعدها أُبلغت بأنى قد مُنحت الإذن لمقابلة شوان لاى . لقاؤنا تم فى مدرسة يوتساى Yucai فى مدينة بيبى Beipei أحد ضواحى تشونغ ، وفى الوقت المحدد للمقابلة رأيته يهبط من فوق الدرجات الحجرية ، كان يبدو أنيقًا فى حلته الرمادية الفاتحة ، كان الكل ينادونه بشوان نائب الرئيس [١] ، وفى هذا اللقاء ذكر أنه يأمل أن أتمكن من الذهاب إلى يانان حتى أستطيع أن أتفرغ للكتابة .

وقعت حادثة جنوبى آنهوى فى نفس العام[٢] ، وقد هزت الوطن والعالم بأثره ؛ فقد شن الكومنتانج حملته الثالثة على الكُتّاب التقدميين

(١) نائب رئيس اللجنة العسكرية " المحرر " .

(٢) وقعت حادثة جنوبى آنهوى Anhui فى يناير عام ١٩٤١ بعد الاتفاق الذى كان مبرماً بين كل من الجيش الرابع الجديد الشيوعى وجيش الكومنتانج، والذى اتفاقا بموجبه =

فى ضـواحى تشـونغ ، وتعـرض مـعظمـهم لسطوة الإرهاب ،أو لوطأة المراقبة اللصيقة ،أو لأغلال الاحتجاز ، ولحسن الحظ فقد ساعدنى شوان لاى أن أرحل بعيداً بصحبة أربعة كُتّاب آخرين، وعلى الرغم من أننا تحاشينا ـ قدر الإمكان ـ العملاء السريين لحزب الكومنتانج فقد أُوقفنا ، وفتشنا لما يربو على سبعة وأربعين مرة قبل أن نتمكن من الوصول بسلام إلى مدينة يانان .

وفى إحدى ليالى الصيف المبكرة ـ بعدما أخبرنا ـ ذهبت إلى أحد كهوف جبال يانغ جيا ، وهناك ـ للمرة الأولى ـ قابلت أكثر الأشخاص روعة بين كل من قابلتهم طوال حياتي ـ إنه القائد العظيم لشعب الصين : ماوتسى تونج ، ملامحه الشجاعة وابتسامته الأخاذة لازالت تتردد أصداؤها فى أعماقى حتى الآن .

فى نوفمبر من نفس العام انتخبتُ ممثلاً لأقاليم الحدود "شاآنشى Shaanxi – قانصو Gansu – نينغشيا Ningxia " ، وخلال تلك الفترة كتبت قصيدتى فى مدح ماوتسى تونج.

=

على توحيد قوتهما ضد المستعمر اليابانى ، وفى الطريق الشمالى عند جنوبى أنهوى أحاطت فرقة من الكومنتانج قوامها ٨٠,٠٠٠ جندى فرقة أخرى من الجيش الرابع الجديد ، والتى كان قوامها ٩,٠٠٠ جندى ، وقاموا بإبادتها تمامًا ، إلا أن نحو ١٠٠٠ جندى استطاعوا أن يخترقوا هذا الحصار " المحرر " .

— ٥ —

الشاعر يجب أن يكون صادقًا

لقد سمعت كثيرين يفسرون أسباب انتشار أشعار بعينها ويردونها لأمور عديدة لعل أبرزها وأقربها للصواب هو أن هذه الأشعار تعبر عما فى قلوب البشر ، ورغم صدق هذا التفسير إلا أنه لا يقدم الحقيقة كاملة ؛ ففى تصورى أننا يجب أن نضيف له أن الشاعر يجب أن يكون صادقًا ، يحرر ما ينبع فى قلبه، يطلقه بلاخوف ؛ فكثيرون يعرفون الحقيقة، لكن الشاعر وحده بكلماته الأمينة يملك أن يجعل هذه الحقيقة تحرك الوجدان ، ولكى يكون أمينًا معهم يجب أن يلتحم بهم ، يشاركهم عشقهم وكرههم، أفراحهم و أتراحهم ، عندها سوف يستمد حكمته وشجاعته من هؤلاء البشر ، وعندها فقط سوف تصبح قلوبهم مرفأ لكلماته .

البشر لايحبون الكذابين ، وعند معرفتهم لايهم نوع الخداع الذى يمارسونه ، أو مدى ارتفاع أصواتهم ، أو عدد الأبواق التى تردد كلماتهم ؛ فلكل منا ميزان فى قلبه يزن به الكلمات ويقدر قيمتها .

هناك أيضًا من يتباهون بقدرتهم اللغوية و اقترانها بمهارتهم ومرونتهم السياسية ، وبأنهم قادرون على مدح من يملكون السلطة وذم من تخلت عنهم ، هذه الفئة تكتب الشعر وأعينها على الطقس و تقلباته ، لكن لسوء حظهم أننا نعيش فى عالم سريع التغير والتقلب ، لقد كتبوا على أنفسهم الشقاء وهم لايدرون بذلك ، فقد أصبح لزامًا عليهم أن

يقفزوا من أقصى الطرف إلى نقيضه مثل المضاربين فى أسواق الأوراق المالية ، ورغم مهارتهم التى يتباهون بها فإن اللحظة التى سوف يضعون فيها رهانهم على فرس خطأ يطيح بهم قبل آمالهم آتية لا محالة .

" المهارة السياسية " - فى تصورى - هى تلك التى تُستمد من الشعب ، لكن عندما يحرك المرء الطمع والجشع والغرور فإنه لن يكون قادرًا على تنسم شذا الحقيقة ؛ وهذا يعنى أنه لكى يصبح معنى المرونة السياسية هى مرونة الشعب فإنه يجب أن تتحد حساسية الشاعر بحساسية الشعب .

" إن الدمية المرتدة للخلف ليست أكثر من لعبة لا نستطيع أن نتخذها نموذجًا لسلوك إنسانى " [1] ؛ فلا أحد يستطيع أن يكون مستثارًا بكل شىء ؛ فحتى حشرات الحصاد تعلم مواسم غبطتها .

هناك أيضًا من يدعون قدرتهم على كتابة الشعر دون إلهام، أولئك - بكل تأكيد - هم البشر الذين يدافعون عن التلقيح الصناعى ويؤمنون به، لكنهم ليسوا شعراء ؛ فالذى يعتقد أن أى شىء لا يفهمه أو لا يستطيع تفسيره ، هو شىء لا وجود له ، كمن يعيش خارج الحياة فى صدفة صغيرة مثل الحلزون ؛ فحتى العالم تتغير مواسمه ، وحتى المواسم تتغير دقائقها ؛ ففى بعض الأحيان تسقط الأمطار، و فى أحيان أخرى تهب الرياح ، كذلك البشر فإنهم يتأرجحون بين البهجة والأسى، وحتى فى تأرجحهم فإنهم لا يعرفون الرتابة .

(١) دمية على شكل رجل عجوز مثبت على ياى يتمايل للأمام والخلف بشكل منتظم وسريع بمجرد تحريكه " المحرر ".

" الإلهام " إذا حق لنا أن ندعوه كذلك ، هو أمر أكثر من استجابة إنسان لشيء ما بطريقة جديدة، إنه ولع مفاجئ ، بريق نجم يهوى ، أو ومضة برق تضيء القلب بصورة مغايرة حتى ولو اقتصر الأمر على لحظة واحدة ، " الإلهام " هو أسعد صدفة تتاح للشاعر ليلتقى عالم خياله مع الحقيقة الموضوعية ، إنه أفضل أصدقاء الشاعر قاطبةً ؛ لذا فلا يجب علينا أن ننفى الإلهام فى صحراء الموضوعية ، محاولين تقنينه وضبط آلياته .

أن تكون مستثارًا بكل شيء هو أن لا تكون مستثارًا بشيء على الإطلاق ؛ فالشاعر يجب أن يكون صادقًا فى مشاعره ؛ لأن مشاعره هى استجابته الأمينة لهذا الإلهام ، وعلى الرغم من أنه ليس من الضرورى أن تعبر كل قصيدة عن تجربة شخصية للشاعر ، إلا أن ذلك لاينفى حقيقة أن ما يكتبه لابد أن ينبع من قلبه ، ومن ثم فليس هناك ما يدعو لادعاء الاستثارة ؛ لأنه إذا كان هذا الأمر لا يحرك الشاعر فإنه بالتبعية لن يكون قادرًا على أن يحرك مشاعر الآخرين .

لا ننكر أن قول الحقيقة قد يسبب مشاكل ، و فى بعض الأحيان يمثل مخاطرة جمة، ولكن إن أردت أن تكتب شعرًا تجده فى قلوب الآخرين ، فيجب عليك ألا تمزج دماء ضميرك بمداد أكاذيبك .

إن الشعر لا يُكتب بهدف استعراض القدرة على التلاعب بمهارات اللغة ، وإن كنا لا ننكر أن التمكن من ناصية هذه المهارات أمر بالغ الأهمية لتقديم شعر رفيع المستوى ، كما أن الهدف من الكتابة يتجاوز محاولة رصد الأشياء أو الأحداث بدقة إلى السعى نحو فتح أبواب الخيال ، وحث القدرات الذهنية على رصد الأفكار والخبرات ، ومحاولة استحضارها وتكثيفها وتركيبها للوصول إلى صورة معبرة ، وخلال هذه العملية يحدث ما نطلق عليه " الاستعارة " ، والهدف من الاستعارة هو استحضار نماذج مشابهة قادرة على أن تكثف الصورة الذهنية للقارئ ؛ فحاستى الإبصار و اللمس قد يكمل كل منهما الآخر ، وفى مواقف عدة قد نجد أنفسنا نتحدث عن شىء ما كأننا نلمسه بأيدينا .

يالها من فكرة غريبة ! فكرة مايسمى " بالتكامل المتبادل " ، لقد استخدم " إنجلز " هذه العبارة " التكامل المتبادل " لكى يفسر العلاقات بين الأفكار ، وعلى الرغم من أننا نستخدم هذا المفهوم فى الشعر للحديث عن المشاعر ، إلا أنها تعبر فى النهاية عن عملية ترتبط بقدرات ذهنية تعمل على إيجاد صلة ربط متبادل لإبداع نماذج جديدة .

إن التخيل قد يكون هدفه بلورة كل ما هو مبهم ، وغامض ، وغير مدرك ، وتكثيفه وتقديمه للقارئ بوضح كوضوح الرسم فوق الأوراق ، وفى أحيان أخرى قد يتم تحويل شىء مجرد إلى مُكوِّن صلب يمكن أن يحس ويمس العواطف ، كما قد يحول شيئًا صلبًا ثقيلاً يتكون من

الرصاص إلى كائن جميل يورق أجنحة تحلق فى الفضاء ، وقد يحدث العكس ؛ أى أن نثبت شيئًا محلقًا فى الفضاء فى لحظة نحاول فيها أن نسبر غوره .

وفى مملكة التخيل كل شىء ممكن وجائز؛ فالمرء يمكنه رؤية أيدٍ تتصافح على بعد عشرات الآلاف من الأميال أو قلوب يودع كل منها الآخر. إن التخيل هو " التكامل المتبادل " ، وطريق التخيل هو بوابة الشعر ، إنه الأداة الأساسية لخلق ذلك الكائن الجميل الذى نسميه الشعر .

- ٧ -

على الرغم من أن الأيام التى أحياها الآن أصبحت مفعمة بالألوان والأحداث المبهجة، إلا أنه مثل كل من فى سنى ؛ فقد خضت أنماطًا مختلفة من الحروب، وصادفت أنماطًا مختلفة من الأعداء ، ولم يرنى الزمن من شيمه سوى التقلب.

فى شتاء ١٩٤١ نظمت قصيدة أسميتها " زمن " قلت فيها :

حتى لو كنت أعلم أنه لن يجلب لى

ضحك الطفولة

أو بهجة الاحتفالات

بل مشهداً أكثر دموية من ألف مذبحة

سوف أظل أندفع نحو ذراعيه

بكل الحماس الذى تستطيع أن تمنحه الحياة لى

....

من أجل أن ننهض من هاوية الزمـــــن

أرحبُ بأعظم المادحين و أحقر الذامين

بعداوة لاتنتهى وتهديد لايعرف حدوداً

....

أؤمن به وأكرس نفسى من أجله

لكنى صامت

صمت سجين

اقتاده حراسه لساحة الإعدام

ألتزم الصمت لأنى لا أملك كلمات تكفى روعتها

لتعبر عن مشاعرى نحوه ،

عاطفتى المتضرعة

ليدوى كالرعد فى السماء الملبدة بالغيوم

أسكب نفسى أمام الذى أرضانى وأبهجنى

عشقى له فاق أى حب

أرحب بأن أبذل حياتى لمجيئه

أقدم له روحى وجسدى

أمامه سوف أذل نفسى

حتى تستلقى على الأرض

وتطأها حوافر الجياد .

هذا النمط من الأشعار التى تحتفى بمجىء الزمن الذى قاتلنا وسكبنا أعمارنا من أجله ، فى حضرته سوف أذل نفسى حتى تستلقى على الأرض وتطأها حوافر الجياد .

استغل بعض المتشككين وأدعياء الأدب هذه القصيدة فى النيل من سمعتى ووطنيتى بدعوى أننى لم أذكر الشعب أو الطبقة العاملة فيها ، كما استغلوا للغرض ذاته المقطع التالى من قصيدتى الطويلة " مواجهة الشمس " :

الشمس

تجعلنى أفكر

....

فى النشيد القومى الفرنسى

فى واشنطن ، ولينين ، وصن يات صن

فى كل الأسماء التى على شاكلتهم

الذين خلصوا الجنس البشرى من البؤس .

اتهمونى بأنى وضعت واشنطن وصان يات صن على قدم المساواة مع لينين ، وصدر الحكم عليَّ بأننى مهووس فقط بكلمات عن الحرية والديموقراطية ، بل إننى أضفت لينين فقط من أجل العرض ... هذا بعض مما قالوه ..

لحسن الحظ أننا نملك اليوم الفرصة لكى نراجع كيف استطاع مدعو الأدب هؤلاء أن تعلوا سلطتهم وتمتد سطوتهم حتى يفوق إرهابهم - فى المجال الثقافى - إرهاب عصابة الأربعة ،الذين جعلوا مياه الإبداع الثقافى تنضب لما يربو على العشرين عاماً ، كيف استطاعت سطوتهم أن تحقق كل هذه البشاعة ، ألا يجعلنا هذا نتساءل ؟ لحسن الحظ أن كل هذا مضى وولّى ، ألقيناه خلف ظهورنا ، والآن أمواج الزمن المتلاطمة جرفتنى بعيداً إلى مرفأ جديد تتسلل إليه أضواء الشمس ، ومن قلب الضباب ووسط آلاف الأبواق التى تدوى توشك حياتى أن تبدأ رحلة جديدة .

منتصف ديسمبر ١٩٧٨



الأمـل

صديق أحلامك

شقيق أوهامك

تحديداً هو ظلك

لكنه دائمًا أمامك

بلا ملامح مثل الضوء

لايعرف السكون مثل الرياح

بينك وبينـه

دائمًا مسافة

مثل الطيور المحلقة خارج النوافذ

مثل السحب السابحة فى السماء

مثل الفراشات

ماكرة وجميلة

عندما تتقدم يطير منك

تتجاهله.. يداعبك

لأنه دائمًا معك

حتى أنفاسك الأخيرة .

نافخ النفير

" يبدو أننى قد سمعت يومًا أحدهم يقول إن نافخ النفير مصيره الهلاك ؛ لأنه عندما يضغط بشفتيه على الفوهة النحاسية للنفير لكى يخرج الصوت ؛ فإنه يزفر أيضًا قطراتٍ ضئيلة جدًا من دمه ... وجوه نافخى النفير دائمًا شاحبة ... " .

– ١ –

بين الفرق العسكرية المتعبة التى تكومت فوق أسرّة من قش الأرز

بين الفرق العسكرية القذرة المرتدية زيها العسكرى الرمادى

هو أول المستيقظين

يستيقظ فجأة

كما لو أنه يوقظ مروعًا

نعم إنه يوقظ مروعًا

ماذا يفزعه ؟

هل هو صوت عجلات العربات التى تحضر الفجر

فى انحدارها بطول حدود السماء ؟!

يفتح عينيه باتساع

فى دخان مصباح احترق طوال الليل

يرى نفيره المعلق

ينظر إليه فى بلاهة

كشخص استيقظ تواً من النوم

ويرى محبوبته عندما يفتح عينيه للمرة الأولى

وبنفس العاطفة

وفى كل الأيام التى أعطيت له ليعيش هذه الحياة

لا يستطيع أن يفعل شيئًا سوى عشق نفيره

النفير جميل

من خلال بوقه

تومض ذبذبات رائعة

عند حلقه

شرائط قرمزية مربوطة

نافخ النفير نهض من سريره

المصنوع من قش الأرز

لا يضمر ضغينة

لأنه كُتب عليه أن ينام على هذه الأرض الرطبة الموحلة

فى عجل يربط طماق (١) ساقيه

وبماء ثلجى يغسل وجهه

وبعدها يتطلع إلى رفاقه المجهدين وهم يغطون فى النوم

ثم يمد يده ليلتقط نفيره

فى الخارج لايزال الظلام حالكًا

فالأمس لم يكتمل بعد

ماذا باغته ليستيقظ ؟

(١) شريط عريض من القماش يربطه الجنود على ساقهم عوضًا عن الحذاء العسكرى ذى الرقبة . " المترجمان "

هل هى عاطفته التواقة

للفجر؟!

يصعد منحدر الجبل

يقف هناك لبعض الوقت

حتى يرى ـ فى النهاية ـ هذه الأعجوبة الدنيوية أمامه

الليل المظلم يسحب حجابه الغامض

النجوم تتناقص

تتفرق وتختفى

" الفجر " عروس اليوم

يمتطى عربة ذات عجلات ذهبية

يقترب من أقصى السماء

عالمنا للترحيب به

علق فى الشرق

ملايين الأميال من ستائر الضوء

انظر ! !

بين السماء والأرض ،

تحدث مراسم مقدسة ومهيبة

- ٢ -

الآن يبدأ

يقف تحت قبة السماء الزرقاء الصافية

وبالهواء المعطر

بعبير البلاد الكريمة

ينفخ نفسًا عميقًا خلال النفير

وربما يزفر معه أثرًا لدمائه

ليخرج من النفير

صوتًا ينطلق فى الريف

مغلفًا بمشاعره الجياشة

مكرسًا للفجر الجميل

إنها نوبة الاستيقاظ

كيف يدوى هذا الصوت عبر أميال وأميال ؟

كل شىء على الأرض

يفيض بالبهجة

استجابة لنداء نفيره

الغابات تستيقظ

لتذيع موجة تلو الأخرى من أهازيج الطيور

الأنهار تستيقظ

وتستدعى قطعان الخيول لتلعق مياهها

المزارع تستيقظ

والقرويات يسعين نحو حقولهن

أرض الميدان تستيقظ

والجنود فى زيهم العسكرى الرمادى

يندفعون خارجين من الثكنات المحطمة

التى تغتسل فى ضوء الصباح

يتزاحمون فى مواضعهم انتظاراً للاستدعاء

عندئذٍ يهبط منحدر الجبل

يتوه

وسط عددٍ لا يحصى من أزياء عسكرية رمادية

تحتشد واقفة فى انتباه

وبعدما ينتهى من إصدار صوت الاستدعاء للإفطار

ينفخ نداء التجمع

وبعد ذلك فى التألق المتلألئ الذى ينهمر من الشمس

الذى يحجب كل شىء تحت مظلة السماء

بحماس وإلحاح

يصدر صوت " سلام سلاح "

- ٣ -

هذا الطريق

يمتد إلى حافة السماء دون توقف

هذا الطريق

مهدته عشرة آلاف قدم

وآثار آلاف الشاحنات

هذا الطريق

يربط قريةً بقريةٍ أخرى

هذا الطريق

يعبر فوق أحد التلال صوب التل الآخر

والآن

الشمس تكسوه بطبقة من ذهب

ونافخ نفيرنا

على رأس صف طويل من الفرق العسكرية

التى توجتها الشمس

يطلق أصوات نداء التقدم

تمنح الفرق العسكرية فى حركتها

دفعة نشاطٍ لتتقدم

- ٤ -

الأشكال الرمادية

تنتشر فى :

البلاد المفتوحة

الريف

المساحات الممتدة من العشب الأخضر ،

وتلك السهول السوداء

سوف تصبح لنا مزيجًا مهيبًا ومقدسًا

أصغى ، انفجار لغم يمزق الهواء

انفجار فى الأفق

نتنفس عبير العشب المخلوط بالطين

نتنفس زفير الانفجارات البعيدة

نربض فى خنادق الميدان

بلا كلمة.. وبرهبة ننتظر أوامرنا

مثل المتوقعات للمخاض

المنتظرات لقدوم ذريتهن

فى قلوبنا

لم نشعر بما نشعر به اليوم

بما يغمرنا من إحساس بالحب

يقضى به الزمن الذى نحياه

كثيرون منا اختاروا لأنفسهم

أن يكون اليوم هو الأخير من حياتهم

لا يوجد أحد منا إلا وثابت بطموح نقى ومقدس

تجهزنا لكى ننتصر فى معركة مجد تضحيتنا

- ٥ -

الآن يبدأ الانقضاض الوحشى

أعداد لا تحصى من المقاتلين

يندفعون خارج خنادقهم ،

مروعين بتأثير ومضات الضوء

الكل فى الجبهة يهاجم بغضب

مهددين العدو بتقدمهم

فى التعامل مع الموت

الأرض تموج بالضوضاء

فيضان من الجنود المتقدمة

لا يستطيعون أن ينظروا خلفهم

فى الصدام المجنون

تتدافع أمواج البشر

القنابل تنفجر

نافخ نفيرنا يحمل

مسئولياته التى كتبها عليه القدر

يندفع إلى الأمام فى نفس اللحظة

التى ينفخ فيها لحنه المتقطع

نداء الهجوم

نداء لن يوقفه شيء أقل من الموت

الصوت يحلق عاليًا فوقنا

أكثر جمالاً من أى شيء آخر

عندها فقط ، كما لو كان يطلق تصريحًا غير قابل للنقد

يطلق الحرية للنغمات لكى تحتفل بالنصر

....

أسقطته رصاصة اخترقت قلبه

انهار وحيداً

لم يره أحد يسقط

لكن فى كل لحظة أخيرة من سكوته

فوق هذه الأرض التى أحبها كثيراً

يداه

تقبض بإحكام على نفيره

على النحاس الناعم اللامع

الذى عكس دماء موته

ووجهه الشاحب الباهت

وحركة لا تنتهى

لجنود تطلق بنادقها ، يتزاحمون للتقدم

خيول تصهل

سيارت شحن تذمجر

لكن الشمس

جعلت النفير يلمع و يضوى فى ضوئها

أصغى

يبدو أن النفير لا يزال يطلق أصواته .

نهاية مارس ١٩٣٩

دايـانـاه مـرضـعـتـى

دایاناه مرضعتی

اسمها كان على اسم القرية التى ولدتُ فيها

يوم ولدتُ

كانت الطفلة العروس

مرضعتی دایاناه

أنا ابن أحد ملاك الأراضى

لكنى تربيت على حليب دایاناه

لذا فأنا ابن دایاناه

دایاناه ربتنى كأحد أفراد أسرتها

رضعت من ثديها حتى كبرت

يا دایاناه .. يا مرضعتى

داياناه ، اليوم ، منظر الثلج المتساقط يجعلنى أفكر فيكِ

أفكر فى قبرك الذى تكسوه الأعشاب والثلوج

أرى :

الأعشاب البرية الذابلة على إفريز قرميد منزلك المغلق

حديقتك المربعة الصغيرة جداً والمرهونة

مقعدك الحجرى أمام بيتك الذى كسته الطحالب

داياناه ، مرأى الثلج المتساقط يجعلنى أفكر فيكِ

كم هززتنى إلى صدرك بيديك الكبيرتين ،

لتهدهدينى

بعدما أذكيت نار الفرن

بعدما نفضت رماده من مئزرك

بعدما تذوقت ، هل طاب الأرز أم لا ؟!

بعدما وضعت أقداح فول الصويا فوق المنضدة السوداء

بعدما رتقت ملابس أبنائك التى مذقتها أشواك الجبال

بعدما ضمدت يد ابنك الصغير التى جرحها عبثه بالسكين

بعدما عصرت حتى الموت القمل من فوق قمصان أطفالك

بعدما جمعت بيض دجاجاتك

بيديك الكبيرتين ضممتنى إلى صدرك

لتهدهدينى .

وأنا أحد أبناء ملاك الأراضى

بعدما أخذتُ كل الحليب الذى فُرض عليك منحه

أعادونى إلى منزل والدىَّ اللذين منحانى الميلاد

أواه ، يا داياناه لماذا تبكين ؟

عدت لمن منحانى الميلاد

لمست الأثاث الأحمر ، المرصع بالزهور

لمست القماش المطرز على فراش أبواى

نظرت بصمتٍ للافتة فوق الباب كُتبِ عليها " السعادة العائلية"

تلك التى كنت لاأستطيع قراءتها

لمست ملابسى الحريرية الجديدة ، المزخرفة بفروع اللؤلؤ

رأيت أختى بين ذراعى أمى ، عرفتها بصعوبة

جلست على كرسى صغير بلا ظهر أو ذراعين زُيِّن بالنحاس

أكلت أرزًا أبيض طُحن ثلاث مرات

ورغم كل هذا كنت خجولاً

من الأبوين اللذين منحانى الميلاد

داياناه فى سعيها للحياة

بعدما جفَّ حليبها

أسلمت ساعديها اللذين طالما هدهدانى

إلى العمل

تبتسم بعدما تغسل ملابسنا

تبتسم بعدما تحمل الخضروات وتغسلها فى بركة القرية المتجمدة .

تبتسم بعدما تقطع اللفت المجمد إلى شرائح صغيرة

تبتسم بعدما تحرك الطعام فى وعاء الخنازير

تبتسم بعدما تنفخ فى لهب الموقد

تبتسم بعدما تحمل السلال الممتلئة بالفاصوليا والحبوب إلى ساحة مكشوفة

لتجف فى الشمس

داياناه فى محاولتها للبقاء على قيد الحياة

بعدما جفَّ حليبها

أسلمت ساعديها اللذين طالما هدهدانى

إلى العمل

داياناه كانت وفية لابنها فى الرضاعة

ففى العام الجديد اهتمت بإعداد قطع حلوى الأرز الشتوى من أجله

من أجل مَنْ تسلل إلى منزلها

من أجل مَنْ قد يستيقظ ويدعوها " ماما "

داياناه علقت رسمه

" لجوان وبى " إلـه الحرب بألوانه الخضراء والحمراء
فوق أحد جدران منزلها
دايانا كم تباهت بين جاراتها وتفاخرت بابنها فى الرضاعة
دايانا يوم أن حَلُمَتْ حُلمًا لم تجرؤ أن تخبر أحداً به
ففى حلمها كانت تشرب نخب زفاف ابنها فى الرضاعة
وهى جالسة فى قاعة متألقة زخرفت بالحرير
وعروس جميلة صغيرة تدعوها بحب " ماما "

....

دايانا كانت وفية لابنها فى الرضاعة

دايانا فى أحد أحلامها لم تستيقظ ، ماتت
عندما ماتت لم يكن ابنها فى الرضاعة بجانبها
عندما ماتت زوجها الذى اعتاد أن يضربها
ذرف دموعه عليها
أبناؤها الخمسة ذرفوا دموعًا مُرّة
ماتت واهنة ضعيفة
لكنها صرخت باسم ابنها فى الرضاعة

دايناناه ماتت

ولم يكن ابنها فى الرضاعة بجانبها

دايناناه رحلت بعدما تحجرت الدموع فى مآقيها

رحلت بعد تسعة وأربعين عامًا من الذل فى قبضة العالم

رحلت بعد معاناةٍ لا تنتهى

لم تترك سوى جرتين للرفات وبعضَ حزمٍ من قش الأرز

وقطعة من الأرض لاتكفى لدفن تابوت

وحفنة من رماد أوراق نقدية محترقة

دايناناه رحلت ، والدموع تحجرت فى مآقيها

ولكن هناك أشياء لم تعرفها دايناناه :

مات زوجها السكير

أصبح ابنها الأكبر قاطع طريق

مات ابنها الثانى أيضًا فى أتون الحرب

وابنها الثالث ، والرابع ، والخامس

يحيون على ما يحطُّ من قدرهم

وأنا ـ أنا أكتب إدانة لهذا العالم الظالم

بعدما تشردتُ بعيداً ردحًا طويلاً .

عدتُ للمنزل

عند سلاسل الجبال فى البرارى

رأيتُ أخوتى ، أصبحنا أقرب عما كنا من ست أو سبع سنوات مضت

داياناه تنامين فى هدوء

وأنت لا تعلمين

أن ابنك فى الرضاعة فى سجنه

كتب شعراً كُرِّس لك

كُرِّس لروحك ، لطيفك الأرجوانى تحت التربة السمراء

كُرِّس لذراعك التى طالما عانقتنى

كُرِّس لشفتيك التى طالما قبلتنى

كُرِّس لوجهك الدافئ الناعم بلون الأرض

كُرِّس لصدرك الذى طالما أرضعنى

كُرِّس لأبنائك ، أخوتى

كُرِّس لكل من فى الأرض

مثلك ومثل أبنائك

كُرِّس إلى تلك التى احبتنى كأحد أبنائها

دایاناه

أنا كبرت وشببت عن الطوق بفضل الرضاعة من صدرك

ابنك

أقدم قربانى هذا إليك " إجلالاً و تقديراً وثناءً "

مع كل حبى .

فى صباح يكسوه الجليد

١٤ يناير ١٩٣٣

ليل شفاف

(١)

ليل شفاف

... قهقهاتٌ تشقُّ قلبَ الحقول
زمرة من شاربى الخمرِ يحدقون
فى عمق القرية النائمة
بصخبٍ يجعلون وجهتهم ...
صوبَ القرية
حيث نباح الكلاب المطلقة يتلاشى
والنجومُ المبعثرة تملأ صفحة السماء

صوبَ القرية
خلال الشوارع النائمة
خلال الساحات الناعسة
يُسرعون إلى حانةٍ صاخبةٍ

نبيذ، أضواء مصابيح ، وجوه ثملة
ضحكات مشتتة تمتزج سويًا

" دعنا نذهب إلى السلخانة
دعنا نحتسى حساء البقر .. " .

(٢)

شاربو الخمر يتقدمون صوبَ حافة القرية
دخلوا من باب تنبعث منه أضواء المصابيح

أكوام اللحم ، ورائحة الدم
وروائح جلود البقر الكريهة الحارة
الناس يصيحون ، يصيحون
مثل نيران البرارى يلقى قنديل الزيت بضوئه
على عشرات الوجوه الملطخة بالطين
من قاطنى الأرض العشبية

هنا مكان الترفيه عن النفس

هذه الوجوه المألوفة

تستهوينا

البخار الحار يَشّوى اللحم البقرى

والأفواه تلتهمه

وتمضغ .. وتمضغ

" نبيذ ! نبيذ !

أعطونا نبيذاً ! "

مثل نيران البرارى يلقى قنديل الزيت بضوئه

فوق دماء الأبقار

القصّابون تلطخ الدماء أذرعهم

القصّابون تكسو الدماء جباههم

مثل نيران البرارى يلقى قنديل الزيت بضوئه

فوق عضلاتنا المحترقة

التى يكسوها .

الألم ، والغضب ، والكره

مثل نيران البرارى يلقى قنديل الزيت بضوئه

فوق كافة الأنحاء

السكارى

المتسكعون

قاطعو الطريق

لصوص الماشية

خرجوا من كل ركن

" نبيذ ! نبيذ !

أعطونا نبيذاً .." .

(٣)

نرحل فى أضواء النجوم المرتعشة

والخوف يملأ قلوبنا...

ضحكات تشقُّ قلبَ الحقول ...

شاربو الخمر يرحلون

من القرية النائمة

من الأرض العشبية الناعسة

بضوضاء يغيرون اتجاههم ...

ليل شفاف !

ليل !

١٠ سبتمبر ١٩٣٢

باريس

باريس

كم رأيتك

عند الفجر وفى الغسق

ظهراً وفى جوف الليـــــل

فى مزاجاتك الخاصـــة

غاضبةً ، مبتهجةً

تتألمين ، سعيدةً ، شامخة الروح

على مدار اليوم الواحد

كم رأيتك

تضربين بقبضتك فوق صــــــدرك

أو تنفخين مرة تلو الأخرى

أو ترفعين عنقك ، وتنظرين بكبرياء صوب السماء

تصيحين

أو تنكسين رأسك حزنًا ، وتغلقين عينيك بإحكام

لتستغرقى فى تأمل عميق مظلم

أو تحلين ضفائرك الذهبية الطويلة

و تغنين

أو.. شىء آخر

تنزعين ثوبك القرمزى

وترقدين كاشفة عن لحمك المترف

كم أنت فاسقة ولعوب .. !

ليس لى فقط

بل لكل آلاف المهاجرين مؤقتًا على أرضك

الذين بَعثتِ لهم

دعواتِك المغرية ، دعوات لا تقاوم

باريس

أنت عاهرة ، ماجنة، جميلة ..!

....

أنظرُ لقاطرات الترولى

تسير صوب نهاية الشارع

وتختفى

ثم تعود مرة أخرى

أسمع صوت جرس الترولى

دنج ، دنج ، دنج، دنج .. مضى سريعًا

حشود البشر المتدفقة

تتزاحم فى الشوارع الكبيرة

وفى الأزقة الضيقة

ومن كل زقاق يعودون أضعافًا

ليشكلوا فيضًا من المد والجزر

يتكدسون

فى الشوارع الكبيرة

فى الميادين المفتوحة

لا يتوقفون لحظة

فى إيقاع درامى

يدورون

يصيحون سويًا

يتحركون ذهابًا وإيابًا

وحول البنايات

وفى كل صوب

يشيدون قمةً فوق قمة

بجوار المسلَّة التذكاريةِ

أو حول التماثيل البرونزية

أو أمام المتاجر الكبرى

المحلات تتكاتف

فى أضواء الشمس

فى أضواء المصابيح

تومض إلى ما لانهاية

بارتعاشة ..

مهرجانية ..

تضىء فى تألقات منفصلة كقطعة من الكنافاه [1] المتوهجة

أو كرقصةٍ من وميض

من المذياع

(١) أحد أشغال الإبرة التى تشبة التطريز " المترجمان ".

تنبعث موسيقى

تمتزج وتتصارع

مع ضجيج

وصخب

رجال فى العمل

ترتيلة رائعة

جملة بليغة

شطر حديدى

ومن كلمة لأخرى

الأتوبيسات ، الترامات ، المتروهات ،اكتظت جميعًا

أبجدية مضيئة

شوارع مُعبَّدة ، مسارات للترام ، طرق فرعية

تبعث الحياة فى تلك الجملة :

عجلة + عجلة + عجلة = علامات ترقيم الجملة

صفارة + صفارة + صفارة = علامات تعجبها

كل هذه تختلط لتكون قطعة نثرية جميلة

تزهر فوق ألسنة البشر المختلفين

تحيل تلك العناصر المتباينة

إلى خلق واحد رائع

كورس رنان

أنتِ

التى صنعتِ هذا التفرد

بشخصيتكِ الرقيقة

تسربتِ

مثل المياه

إلى مريديك

بدَّلتِ

عشرات الآلاف

ليصبحوا أكثر روعة

أكثر جنونًا ، أكثر غرابة

أنتِ أُعجوبة يا باريس

كم عدد القرون

التى تعاقب فيها البشرعليك ؟!

كم أضافوا لك من صبغتهم ؟!

لطخوا بها وجهك

كل حياة ، كل حركة

كل مذبحة ، كل معركة

حتى أصغر حفلات زفافك

جميعها أجزاء من قصتك

لويس السادس عشر يُرفع على المقصلة

ثوار

غوغاء

ميلاد التقسيم الإدارى الفرنسى

الهجوم على البستيل

كلها أجزاء من معانٍ لا تُمحى

نحتيها هنا

ازدهارك .. ياباريس

عمرك .. ياباريس

طبيعتك ، تنظيمك

أفراحك ،أتراحك

باريس

أنت الآن قوية

يحلق فى سمائك توهج مغناطيسى

يجذب البشر من كل أمة وعرق

من كل صوب وحدب

الذين يملكون روح المغامرة

يُدفعون إليــــــك

يُطوقوكِ بالحب

أو يمقتوكِ حتى النخاع

أنت لا تعلمين

من أى أجمة عشبية

هرولت إليك

ومددت نحوك أذرعى المرتعشة

مدفوعًا إليك

إلى مشقة أعظم

باريس

أنتِ نادرة ، خلق ثمين

تريدين أن تحيىّ فى شجاعة

لكن مثل الطائشين الذين لايرهبون الموت

تستخدمين

شبقك ، وخمرك ، وقوس نصرك ، وأنواط نابليونك

و برج إيفل ، ونسائك

و بورصتك ، وبنوكك

لكى تثيرين

كل العالم

بلهاؤوه ، مقامرونه ، قوّادونه

سكاروه

مغامرونه ، ملاكمونه

حالمونه ، مضاربونه

حتى بائعوالقدور الضخمة

آه ، باريس

من أجل ابتسامتك الآسرة

كم من البشر

تركوا جذورهم

هجروا روابط أسرهم

ألقوا بها بعيداً ، قربانًا لجاذبيتك المرية

كم عدد الآلاف

الذين أنفقوا طاقاتهم

سكبوا عرق عملهم

استرضوكِ

كى تلقى إليهم جزءاً من عطفك

أو بعض حبك

لكن

أنتِ

عاصمة ضخمة

لاشىء أكثر من هذا

قلوب حديدية ، وجوه حجرية

فى النهاية

نسكنك محبطين من المعاناة والهزيمة

ومع ذلك تظلين الأقوى

أطلقت شراراتك الرائعة

وبعجرفتك

ألقيتهم بعيداً فى بؤسهم

مثل قمامة رديئة

بلا رحمة .

باريس

أكرهك ..أعشقك من كل جوارحى

لاتسخرى منى عندما تتدلى ذراعاى ضعفًا

عند عودتى خائب الأمل إلى منزلى

ففى ميدان الحياة وبين أولئك الذين وطئوا

لست وحيداً

حقًا بين أولئك الذين تستخفين بهم

قد لا أُعَدُّ شيئًا

لذا يجب علينا

أن نبعد أنفسنا عنكِ

ندَّخر بعض الخبرة

ونقوى أجسامنا

حتى يأتى يوم

نجتمع سويـًـا

نثور ضـــــدك

وفى ذلك الحين

سوف أكون

فى طليعة المهاجمين

وآنذاك ...

سوف نسحقك

سوف نأخذك خارج المدينة

نعانقك

سوف نتنافس أن تكونى بين أذرعنا

تغنين بمجونٍ أغانيك الجميلة.

باريس

أنـــت

فاسقة

ماجنة

ساحرة

امرأة لعوب ...!!

الشمس

من قبور الماضى السحيق

ومن عصور الظلام

ومنذ أن عرف الموت تدفقه للبشرية

ومن الجبال السامقة النائمة.

الشمس تدور نحوى

مثل عجلةٍ من نارٍ فوق التلال الرملية

بأشعتها التى لا تقهر

تمنح الميلاد للحياة

تجعل فروع الأشجار تتراقص نحوها

تجعل الأنهار تموج - فى تدفقها - بالأغانى

عندما تشرق الشمس

أسمع الحشرات النائمة تتقلب تحت الأرض

البشر يتحدثون بصخبٍ فى الميادين

تظهر المدن بعيداً

حيث الكهرباء والفولاذ

عندها يُفتح صدرى ..

بأيديها النارية

روحى الفاسدة

تتطهر فى نهرها

أؤمن ثانية

بتجدد الإنسانية .

ربيع ١٩٣٧

حوار داخل منجم فحم (*)

أين تعيش ؟

أعيش داخل سفوح جبال عمرها عشرة آلاف سنة

أعيش داخل صخور سميكة صلدة عمرها عشرة آلاف سنة

كم عمرك ؟

عمرى أعظم من الجبال

وأعظم من الصخور السميكة الصلدة

منذ متى وأنت صامت ؟

منذ أن شعرت الأرض برجفتها الأولى

(*) انظر مقدمة الشاعر فى متن هذا الكتاب ص٤٧ . " المراجع "

منذ أن حكمت الديناصورات الغابات

هل هلكت داخل وحشة الوحدة ومرارة التجاهل؟

هلكت ؟! كلا .. كلا ... أنا لازالت حيًا

من فضلك أعطنى ضوءاً .. أعطنى ضوءاً.

ربيع ١٩٣٧

ابتسامة

أنا لا أثق فى علماء الحفريات

فبعد مرور آلاف السنين
عند الشطآن العارية من آثار الأقدام البشرية
أو وسط الأطلال التى خلفها البشر
شخص ما سوف يلتقط بقايا من عظام جافة
عظام جافة من جسدى
كيف له أن يعلم أن هذه البقايا العظمية
حرقت وتفحمت فى القرن العشرين ؟

ومن سيستطيع أن يجد فى طبقات الأرض
الدموع التى انهمرت من الضحايا
الذين عانوا عذاباتٍ لانهاية لها ؟!
فتلك الدموع
احتُجزت خلف ألف قضيب حديدى
ومفتاح واحد فقط

يستطيع أن يفتح أبواب السجون كلها

لكن كل الشجعان الذين حاولوا الحصول على هذا المفتاح

سقطوا وقُتلوا

تحت وطأة سيوف الأعداء وبنادقهم

لو استطعتُ فقط أن أحصل على دمعة من هذه الدموع

وأحفظها فى وسادتى

إنها أكثر بريقًا من لؤلؤ الأعماق

بل تومض أكثر وأكثر

تشعّ عبر كل الأزمان والفضاءات .

أليس كل منا فى زمانه

سُمِّر على صليبٍ

قد يقترب فى آلامه

من صليب شعب الناصرة ؟

وبأيدى أعدائنا

توجنا بالشوك

ومن جباهنا أسقطت الجراح المميتة

قطرات الدماء القرمزية .

ولكن حتى هذه لا تستطيع أن تكشف

الآلآم المرة التى فى قلوبنا .

إنها الحقيقة

يجب ألا نأوى آمالاً بلا مأوى

لكننا قد نأمل يومًا

عندما يفكر الناس فينا

كذكرى ضمن ذكريات مضت

ضمن الأسلاف الذين صارعوا الوحوش البدائية

قد تكسو وجوههم

ابتسامة عابرة

ابتسامة صافية كريمة

بل ربما متسامحة

آه ، كم أنا مستعد لأن أبذل حياتى من أجل تلك الابتسامة .

٨ مايو ١٩٣٧

الأرض تولد من جديد

الأيام الفاسدة

غرقت فى قاع النهر منذ أمدٍ بعيد

لعل التيار يطهرها

حتى لا يتبقى منها ثمة أثر

فوق ضفاف النهر

حيث خطا الربيع بخفة

تزهو الزهور وينبت العشب

ومن هناك من ذلك البستان

تنبثق

زقزقة عالية لمئات الطيور

تحتفل بالربيع

آه ، بذر البذور

إنه موسم بذر البذور

دعنا نكدح بعزم وقوة

حتى تُخرج الأرض لنا

سنابل القمح الذهبية

إنه وقتك أيضًا

يا شاعر الحزن والمعاناة

لكى تنزع أحزان أيامك الماضية

دع الأمل يحيا

فى قلبك الذى عانى كثيراً

لأن أرضنا التى ماتت يومًا

تحت السماء المتألقة

تولد من جديد .

التعاسة لم تعد سوى ذكريات

لأنه من قلب الأرض الدافئ

سوف تتدفق مرة أخـــــرى

دماء محاربينا التى سالت .

عند سكة حديد شنغهاى ـ هانشو

٦ يوليو ١٩٣٧

نهض

نهض

من ذل عشرات السنين

من الجحيم الذى حفره له أعداؤه

جبهته تقطر دمًا

صدره تكسوه الدماء

لكنه يضحك

يضحك بصورة لم يألفها من قبل

يضحك

بعينين تتطلع إلى الأمام

تومض كما لو كانت تبحث

عن العدو الذى أسقطه على الأرض

نهض

وأصبح راسخ القدمين

وسيكون أعنف من كل الوحوش

وأحكم من كل الرجال

يجب أن يكون شامخًا هكذا

لأنه سوف يستعيد حياتــــه

من موت أعدائه .

١٢ أكتوبر ١٩٣٧

من الأدب الصينى

الثلج يسقط فوق الصين

الثلج يسقط فوق الصين

والبرد يحاصرها

الريح

مثل نواح امرأة عجوز

تلاحق من الخلف

تنشب مخالبها الثلجية

تنتزع ملابس السائرين

بكلمات كقدم الأرض

وتذمّرا لاينتهى

تأتى من الغابات

فى عربات خيــل

وأنتم هناك يا مزارعى الصين

يا من ترتدون قبعات الفراء

وتواجهون العواصف الثلجية

ماهو قدركم ؟

سوف أخبركم

(فأنا أيضًا سليل مزارعين)

فمن وجوهكم المجعدة التى حفرها الألم

ألمس

سنوات وسنوات

من عناء الرجال

الذين سكبوا أعمارهم فوق المروج

ورغم ذلك

فأنا لستُ أسعد حالاً منكم

أهوى فى نهر الزمن

أمواج شقائه المتلاطمة

اعتادت أن تبتلعنى

ثم تعود وتلفظنى من جديد

فقدتُ أثمن أيام شبابى

فى الترحال والسجون

حياتى

مثل حياتكم

منهكة

الثلج يسقط فوق الصين

والبرد يحاصرها

فوق النهر، فى هذه الليلة الثلجية

داخل قارب كسيح بمظلة سوداء

قنديل زيت صغير، نوره يخبو ببطء

من يجلس هناك

مُنكّس الرأس فى هذا الضوء ؟

آه ، أنتِ

امرأة شابة ، قذرة الوجه ، شعثاء الشعر

لم يكن كذلك

منزلك

ذلك العش الدافئ السعيد

الذى حطمه حرقًا

عدو وحشى

أليس كذلك ؟!

وأنت فى هذه الليلة

محرومة من حماية الرجال

الذين هم فى رعب الموت

غربوا وطعنوا بحراب الأعداء .

فى ليلةٍ باردة مثل هذه الليلة

أعداد لا تُحصى

من أمهاتنا المسنات

اجتمعن سويًا فى منزل لا وجود له

كغربـــاء

لايعرفون

أين الغـــد

سوف يأخذهم

فطرق الصين

وعرة جـــداً

موحلة جداً .

الثلج يسقط فوق الصين

والبرد يحاصرها .

فوق المروج فى هذه الليلة الثلجية

فوق الأقاليم المطحونة بمشاعل الخراب

أعداد لا تُحصى من فلاحى التربة العذراء

فقدوا حيواناتهم التى ربوهـــــــا

فقدوا حقولهم الخصبة التى رعوها

احتشدوا سويًا

فى حقارة الحياة التى لا ترحم
فوق الأرض الجائعة
يحدقون فى السماء القاتمة
ترتعد أذرعهم
توسلاً من أجل العون

آه ، آلام الصين وبؤسها
مثل طول هذه الليالى الثلجية وعرضها

الثلج يسقط فوق الصين
والبرد يحاصرها

آه ، أيتها الصين
لعل قصيدتى الواهنة
فى هذه الليلة الحالكة
تجلب لك بعض الدفء .

ليلة ٢٨ ديسمبر١٩٣٧

عربة يد

فى المناطق التى يخترقها النهر الأصفر
وعبرعدد لا يُحصى من الأودية الجافة
عربة يد
بعجلتها الوحيدة
تخرج صراخًا يهز السماء الحزينة
يخترق الشتاء المقشعر والسكون المقفر
من سفح هذا الجبل
إلى سفح ذاك الجبل
حزن سكان الشمال
الصوت يجتاز عبر

فى ذلك الصقيع القارس ، وهذه الأيام الجليدية
حول القرى الصغيرة الفقيرة وداخلها

عربة يد

بعجلتها الوحيدة

تنحت طرقـًا فى طبقات الأرض الصفراء الشاحبة

تقطع الاتساع والوحشة

من هذا الطريق

إلى ذاك الطريق

تجمع معها

حزن سكان الشمال.

أوائل عام ١٩٣٨

الشمال

" ذات يوم قال لى شاعر من الأرض العشبية فى كيرجين إن الشمال حزين "

نعم !

الشمال حزين

فمن الحدود العاصفة

تهبُّ رياح الصحراء

وتجتاح مروج الشمال الخصبة

تنتزع منها مجد الفصول

تفرض امتدادات شاحبة من اللون الرمادى والأصفر

تكسوها بطبقة خانقة من غبار رملى كثيف

العاصفة العاوية

تسرع فى الأفق

تجلب معها الرعب

وبجنون

تجرف :

السواحل المقفرة

المتجمدة من رياح ديسمبر الباردة

القرى ، سفوح الجبال ، ضفاف الأنهار

تُهيل الجدران والقبور

تكسوها جميعًا برداء من غبار البؤس ...

مسافر وحيداً

جسده يميل للأمام

يجاهد ليحمى وجهه بيديه

من الرياح التى تعصف بالرمال

يلهثُ ، وبصعوبة يحاول التنفس

خطوة تلو الأخرى

يصارع ليتحرك ...

عدد من حُمُرٍ

عيونها حزينة

آذانها متدلية

تحمل أوزانًا ثقيلة

من المعاناة فى هذه الأرض

أقدامها مجهدة

خطواتها مرهقة

من السير فوق ارض الشمال

وطرقه اللامنتهية المقفرة...

الجداول التى جَّت منذ أمدٍ طويل

قيعانها مزقتها آثار العجلات

شعب الشمال وأرضه

ظمأى

ظمأى للانتعاش بربيع الحياة

الغابات الذابلة

المنازل المتواضعة

تتناثر بائسة

تتبعثر تحت قبة السماء الرمادية المظلمة

وفى السماء

الشمس لا تُرى

لا يُلمح سوى أسراب من أوزٍ برّى

يضرب بأجنحته السوداء

يصرخ بقلقه وآلامه

يفرُّ من هذه الصحراء الباردة

صوب الجنوب حيث تنتشى أوراق النباتات بالخضرة

نعم الشمال حزين

فالنهر الأصفر الممتد لآلاف الأميال

أمواجه الموحلة

تكسو مساحات الشمال الشاسعة

بسيلٍ من الفواجع والمآسى

آه ، الرياح والصقيع على مدار العام
صنعا مشهداً رهيباً
من المجاعة والقذارة

وأنا
ذلك الجنوبى الذى يقيم مؤقتًا فى الشمال
آه ، كم أحب هذا الشمال الحزين
برياحه الرملية التى تلفح الوجه
وهواؤه البارد الذى يتسرب للعظام
كل هذا لن يكون مبرراً لألعنه
كم أعشق هذه الأرض التعسة
بامتداداتها اللانهائية وبراريها المقفرة
ورغم ذلك تثير هيامى

أرى فيها
أجدادنـــا
يرعون قطعان غنمهم

ينفخون فى مزاميرهم

حتى تكسوهم ظلمة ليل الصحراء المقفرة

أعلم أننى أطأ

هذه الطبقة الطمية العجوز

حيث دفنت رفات أجدادنا

كانوا أول من شقّ هذه الأرض بالمحاريث

منذ آلاف السنين

كانوا هنا

يصارعون الطبيعة التى علمتهم النضال من أجل الحياة

قاتلوا من أجل حدودهم

لم يهينوا أنفسهم ولو مرة واحدة

إنهم الآن موتى

أورثونا هذه الأرض

أعشق هذه الأرض التعسة

بتربتها الفسيحة القاحلة

التى تعلمنا لغةً نقيةً بسيطة
كنقاء روحها

أؤمن أن هذه الروح وتلك اللغة
راسخة ، لن تنال منها العوارض
لن تندثر أبداً

أُحب هذه المقاطعة التعسة
هذه المقاطعة العريقة
المقاطعة
التى أطعمت من أحببتهم

العالم يجب أن يعانى طويلاً
حتى يأتى زمن تتجلى فيه قيمة البشر .

٤ فبراير ١٩٣٨

حائكة الملابس

امرأة ترتق الملابس على جانب الطريق

يمرُّ الناس بها

يرتفع الغبـــار

يغطى منديل رأسها

يصبغ ملابسها

يبدأ رضيعها فى البكاء

تجفف الشمس دموعه

لا تلاحظها

تفكر بصمتٍ فى بيتها

الذى دمرته طلقات النيران

ترتق ملابس الناس فى صمتٍ

وتترك عيون طفلها

ـ العيون المتقيرة الحمراء ـ

تحدق في السلة الفارغة

امرأة ترتق الملابس على جانب الطريق

الطريق يمتد بلا نهاية

تصلح جورب أحد عابرى السبيل

وعابر السبيل يرحل .

حطة سكة حديد بكين ـ هانكو

فبراير ١٩٣٨

مواجهة الشمس

من قبور الماضى السحيق

ومن عصور الظلام

ومنذ أن عرف الموت تدفقه للبشرية

ومن الجبال السامقة النائمة

الشمس تدور نحوى

مثل عجلةٍ من نارٍ فوق التلال الرملية

من قصيدة سابقة «الشمس»

١ ــ أستيقظ

أستيقظ

مثل وحش نعسان

وحش جريـح

فى غابة جَفّت وبُعثرت أوراقها

من فوق صخرة باردة كالثلج

أكافح منذ أمدٍ بعيد

حتى أفتح عينـــــىَّ

وأرفع جســـدى

وأنشد الأفـــق

وأرحل

من أقاليم الجبال البعيدة

أقاليم البرارى

صوب هذه المدينة ذات الملايين

الذين يعملون بأيديهم

الذين يصيحون بأفواههم

الذين يسيرون فوق شوارعها

وجسدى

جسدى المثخن بالآلام

سافر مع آلامه المبرحة
قطع مسافات طوال
وأنهكته الرياح والأمطار

ورغم كل ذلك
نهضت في النهاية شامخًا

أفتح النوافذ
وبعيني سجين أرى النور للمرة الأولى
أرى الفجر
آه ، الفجر هاهو حقًا
(من البعد
يبدو أنه قادم ؛ فصوت أناس يغنون)
عندها أقرر الدخول إلى الشوارع

٢ ـ في الشوارع

صباح الخير
أيها الشرطي ، يا من تقف عند مفترق الطرق

ملوحًا بذراعيك في أكمامهما البيضاء

لتُسيِّر حركة المرور

صباح الخير

أيها الخضرى ، يا من تأتى من ضواحى المدينة

حاملاً سلالاً ممتلئة بالخضروات

صباح الخير

يامنظفى الشوارع

بأرديتكم الحمراء

هلموا نظفوا الطرق

صباح الخير

يا ربات البيوت الشبات، ذوات البشرة السمراء الداكنة

أحضرن سلالكن ، كن أول من يصل للأسواق

أنا لا أصدق

أن أيًا منكم قد أمضى ليلة

كالتى أمضيتها أمس

مطارداً من الرياح والأمطار التى لاتعرف اليأس

واقعًا فى شرك كابوس لانهاية له

جميعكم تمتم أفضل منى

٣ ـ أمس

أمس

فوق هذه الأرض

كانت آمالى المثيرة للشفقة

دواءً ناجعًا لآلامى

كنت مثل أولئك الأرامل

اللاتى يرتدين ملابس الحداد

ويجتررن ذكرياتهن المثيرة للشفقة

لمداوة آلامهن

أمس

فكرت فى وطنى

وكأنه " رضيع مريض "

عانى الآلام المبرحة

لم يمر يوم

لم أطل النظر

بعيون زائغة

صوب هذه الأرض أبدية الألم

لم يمر يوم

دون أن أصغى

بآذان مزهولة

لآهات المعاناة المتواصلة فوق سطحها

أمس

حبستُ نفسى

فى سجنٍ من تخيلى

تحيطنى أسوار رمادية عالية

بلا صوت

تتبعت تلك الأسوار

مشيتُ بجوارها ... ومشيتُ

روحى

ترنمت

ليلاً ونهاراً

مراراً وتكراراً

بأنشودة حزينة عن مصير الجنس البشرى

أمس

عدوتُ بطيشٍ

بين الحقول المظلمة الناعسة

وفى البرية حالكة الظلمـة

حتى بلغتُ قممَ الجبال

وارتميتُ فوق صخرة أرجوانية

وذرفتُ دموعًا حارة

بكيت لأجل زماننا

لكن الآن كل شىء جيد

الحزن مضى وولَّى

٤ ــ شروق الشمس

الشمس أشرقت

تظهر المدن من بعيد حيث

الكهرباء والفولاذ

اقتباس من قصيدة سابقة «الشمس»

الشمس أشرقت

من خلف البنايات العالية البعيدة

تلك الجبال التى شُيِّدت من الأسمنت والفولاذ

بمداخنها التى بالمئـــــات

بأعمدتها الكهربائية التى بالآلاف

بقمم أسطحها التى بمئات الآلاف

التى تتشابك جميعها

كغابة كثيفة شديدة النمو

عند المحيط الباسيفيكى

عند المحيط الهندى

عند البحر الأحمر

عند البحر المتوسط

فى بواكيرآمالى المتوهجة نحو العالم

فى شبابى عندما أبحرت فوق بحور زرقاء لاحدود لها

كم رأيت شروقَ شموسٍ جميلة

لكن فى هذه اللحظة

فى هذه المدينة التى أتنفس فيها

المدينة التى تزفر رائحة الكيروسين

رائحة القطران

المدينة التى تفيض بالروائح المتنوعة

التى تكشف عن جسد حديدى

جسد معدنى

جسد كهربى

المدينة التى تستقبل بأذرع مفتوحة

وبالرعاية الرقيقة "بزوغ الفجر"

أرى شروق الشمس

أكثر جمالاً من أى شىء آخر

٥ ـ أغنية الشمس

نعم !

الشمس أكثر جمالاً من كل شىء

من العذارى الجميلات

من بتلات الأزهار لحظة تشربها الندى

من الثلج الأبيض

من البحار الزرقاء

الشمس جرم سماوى ذهبى أحمر

جرم رائع

جرم متفتح

هويتمان[١]

ألهمته الشمس

وبرؤيته التى فى اتساع البحر

صاغ أشعاراً .

(١) وولت هويتمان (١٨١٩-١٨٩٢) شاعر أمريكى . "المراجع"

فان جوخ[1]

ألهمته الشمس

وبفرشاة نارية

غمسها فى ألوان مشتعلة .

رسم مزارعين يحرثون الأرض

رسم زهور" عباد الشمس".

دانكان[2]

ألهمتها الشمس

وبرسالتها النبيلة

نقلت إلينا ألحان الطبيعة.

أيتها الشمس

أنتِ الأعلى

(١) فان جوخ (١٨٥٣ ـ ١٩٨٠) : رسام هولندى يعتبر أحد أعظم الرسامين فى جميع العصور . " المراجع "

(٢) دانكان (١٨٧٨ – ١٩٢٧) : راقصة أمريكية شهيرة . " المراجع "

أنتِ الأكثر إشراقًا

أنتِ تحمرين مثل الدم .

الشمس

تجعلنى أفكر فى الثورة الأمريكية والفرنسية

" الحرية ، والعدالة ، والإخاء "

فى الديموقراطية

فى النشيد القومى الفرنسى

فى واشنطن ، ولينين ، وصن يات صن[١]

فى كل الأسماء التى على شاكلتهم

الذين خلصوا الجنس البشرى من البؤس

نعم !

الشمس جميلة

خالدة

(١) صن يات صن (١٨٦٦ - ١٩٢٥) : سياسى وزعيم ثورى صينى ، مؤسس أول جمهورية صينية (١٩١١ - ١٩١٢) . " المراجع"

٦ ـ سطوع الشمس

شروق الشمس

الشمس تسطع فوق رؤوسنا

رؤوسنا التى انحنت طويلاً

رؤوسنا التى لم تعرف النظر إلى أعلى

الشمس تسطع فوق مدننا وقرانا

التى طالما صمتت تحت وطأة الاغتصاب

الشمس تسطع فوق حقولنا وأنهارنا و جبالنا

حيث أغدقت أرواحنا المعذبة فى الألم ردحًا طويلاً

اليوم

أشعة الشمس الرائعة

توقظنا من اليأس

من كفن الأبخرة السامة،

من معاناتنا المستمرة

توقظ مدننا وقرانا

من الضباب الذى يحجب جنونًا لاينتهى

توقظ حقولنا ، وأنهارنا ، و جبالنا .

رفعنا رؤوسنا الثقيلة

من أرض التبلد

سويًا

صرخنا إلى السماء

انظرى إلينا

نحن

نضحك مثل الشمس !

٧ ــ تحت الشمس

" أيتها الشمــس

انظرى إلينا

نحن

نضحك مثلك!"

على الجانب

جندى جريح

يستند إلى عكازه الخشبى

يسير بامتداد حائط

يتقدم بخطوات واسعة

الشمس تسطع فوق جبهته

تسطع فوق وجهه البسيط المبتسم

يسير إلى الأمام خطوة تلو الأخرى

غافلاً أنى أراقبه من بعيد

يقترب منى

بملابسه العسكرية الرمادية يزينها صليب أحمر

هذا الشكل النبيل تحت الشمس

أشعر أنه أكثرُ روعةً من نوط نابليون البرنزى

الشمس تسطع

فى السماء

فوق المدينة

البشر فى الشوارع

كثيرون ، كثيرون

ورغم أنهم لايُحيُّونى

إلا انه بمجرد أن أسير نحوهم

وأرى كلاً منهم يمرُّ بقربى

لم أعد أشعر

أنهم غرباء

الشمس تسطع فوق وجوههم

تسطع فوق :

وجوه الشباب المتألقة

وجوه العواجيز المجعدة

وجوه الفتيات النضرة

وجوه الجدات العطوفة

كل هذه الوجوه

تجهمت أمس

لكن اليوم تبتسم

فى بهاء الشمس
يجيئون ويروحون
كأنهم مدفوعون برغبة مشتركة
وجوههم المبتسمة
تبدو كأنها تقول فى تناغم:
" نحن نحب هذا اليوم
لا لأننا لانرى معاناتنا
أو لأننا لا نعرف الجوع والموت
نحن نحب هذا اليوم
لأنه أحضر لنا
أكثر الأخبار ثقة
عن الغد الرائع" .

ضوء الشمس
يتألق فوق الجسر الحجرى القديم
بضع فتيات صغيرات
آه ، إنهن رمز السعادة

بحقائبهن خلف ظهورهم

فوق الجسر الحجرى

تحت الشمس

يغنين أغانى عذبة

" نحن ملائكـــة

أصحاء وأنقياء

حُلمنا كان يومًا

شابًا شجاعـــًا

يمتطى خيولاً حربية

يجول عبر البـوادى

أو يطير بالطائرات

ليلحق بطيور السماء " .

(أغانيهم تتوقف كما لوكانوا يستجدون صدقة)

الآن

يغنون من جديد

فى ميدان المعركة

بشجاعة يسحقون العدو

بينما نحن فى الخلف

نزودهم بالطعام والشراب

فى أحد الأيام سوف ننتصر

وبسعادة نجتمع سويًا

أغانيهم

رخيمة

تسطع الشمس فوق صدورهم

تبرز للأمام فى كبرياء

سواعدهم العارية

جباههم النبيلـــــة

تتألق فى شـــــرفٍ

أغانيهم تنساب إلى الجانب الآخر من الجسر".

ضوء الشمس

يغمر الشارع

وفى أحد جوانبه

مجموعة من العمال

بملابسهم الملطخة بالسخام

يغتسلون بضوء الشمـــــس

يحملون مكينة

يومض ضوء أبيض من حافة معدنية صلبة

الشمس تسطع

فوق وجوههم التي يكسوها العرق

كلما تحركوا للأمام خطوة

يطلقون صوتًا بطيئًا

هياف ـ هو

هياف ـ هو

نحن عمال

كادحيـن

وُلدنا فى مناطق فقيرة

نشأنا على الأعمال القاسية

مشغلون طوال العام فى سبيل المأكل والملبس

طعامنا لايكفى أن يملأ بطوننا

ملابسنا لاتكفى للدفء

هياف ـ هو

هياف ـ هو

منذ ١٣ أغسطس[١]

يهاجم العدو

يقصف المصانع بالقنابل

كل شيء يتعرض للسلب والنهب

ملايين العمـال

يتضورون جوعًـا

يهيمون على وجوههم

نحن في المؤخرة

يجب أن نحفز عمالنـــا

أنتجـــوا من أجل إنقاذ الوطـــن

لا تدخروا وسعًا في حرب مقاومة اليابان

يومًا ما سوف ننتصر

(١) قامت القوات اليابانية بمهاجمة الأرض الصينية واحتلالها في ١٣ أغسطس عام ١٩٣٧ المراجع

وعندها سوف يكون عندنا طعام وملبس

هياف ـ هو

هياف ـ هو

يطلقون بلا انقطاع

هياف ـ هو

يدلفون عند منعطف

ضوء الشمس

يغمر ساحة التدريب العسكرى

فى هذه الساحة

آلاف الجنود يرتدون زيًّا موحدًا من القش

يتمرنون على الجندية

الخوذ فوق رؤوسهم

والحراب على بنادقهم

تومض فى الشمس

فى الصمت المهيب

ينتظرون
أمرًا لكى يتقدموا

الآن بدأوا في التقدم
وكلما تقدموا خطوة

أسمع
واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة
واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة
جئنا من الحقول
جئنا من القرى الجبلية
عشنا فى أكواخ من القش
تنفسنا فى زرائب الخنازير
حرثنا الحقول
الحقول هى حياتنا
لكن اليوم
وصل العدو إلى قرانا

احترقت أكواخنا التى من القش حتى نهايتها

حيواناتنا افترست

آباؤنا ذبحوا

نساؤنا اغتصبن

لم يعد لدينا مناجل أو معازق

لم يتبقَ لنا سوى الرصاص والبنادق لنحملها

يجب أن نستخدم حرابنا

لنستعيد حقولنا

لنعود إلى قرانا

لنحطم أعداءنا

أينما زرع العدو قدمه

سوف تتدفق دماؤه .

واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة

واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة

آه ، ياله من صدام سوف يكون .

٨ ــ اليوم

اليوم بامتداد الطرق المشمسة
الهجوم قادم
أنا لن أُنكِّس رأسى بعد الآن
أو أسير يداى فى جيبى
أردد لحن الوحدة
وأتطلع للسحب التى تذروها الرياح
أو أسيرعلى الأرصفة ذهابًا وإيابًا دون هدف

اليــوم
وسط الحشود
تحت الشمس
لم أعد أبحث عن الوجوه
التى طالما وُطِئت بالأقدام مثلى

اليوم
الشمس تداعب خدى

الذى تدفقت فوقه دموع الليالى الماضية
تداعب عينى المرهقة من كثرة التحديق فى عار العالم
تداعب شفتى التى بُحَّت من البكاء على العدل
تداعب روحى الشابة التى شاخت
تداعب مفاصل ظهرى التى انحنت

اليوم
أسمع الشمس تقول لى
" تعالَ لى
من الآن
يجب أن تعرف السعادة "
وعندها
مفتونًا بميلاد هذا اليوم الجديد
أستعذب نداء النفير البعيد القادم من خلف المدينة فى الصباح الباكر
أستعذب تدافع الحشود
أستعذب صوت الأجراس والطبول التى تمتد بطول الشارع
أستعذب مشهد فرق السيرك
عندما أرى دوران هؤلاء البدائيين موفورى الصحة

أبدأ في استعذابهم بعمق

بنفس العمق الذى أستعذب به الشمس

اليوم

أشكر الشمس

لأنها أعادتنى لطفولتى .

٩ ـ أتوجه نحو الشمس

أندفع للأمام

بعاطفتى القديمة

الشمس فوقــى

تسطع بأشعة أكثر قوة من أى شىء آخر

تلسع لحمى فوق جسدى

بإلهامها المتوهـج

وصوتى الأجش

أغنى

" وهكذا ، صدرى

شُقَّ بأيديها النارية

روحى الفاسدة

انتُزعت بواسطة فيضها

فى هذه اللحظة

كل ما رأيته وسمعته جعلنى

أشعر بفيضٍ من عاطفة لم أشعر بها من قبل

حتى إننى قد أرحب بالموت فى هذه اللحظة المجيدة .

مدينة ووتشانغ

أبريـل ١٩٣٨

أحب هذه الأرض

لو كنت طيراً

لغردتُ بملء صوتى

لهذه الأرض التى تضربها العواصف

لهذا النهر الذى يموج بالأحــــــزان

لتلك الرياح العاصفة التى لا تعرف الصمت

لذلك الفجر الذى يأبَى التوقف فوق الغابات

وبعدها للموت

حتى وإن تعفن ريشى فى التربة

لماذا تفيض عيونى بالدموع ؟

لأنى أحب هـذه الأرض .

١٧ نوفمبر ١٩٣٨

شحاذ

في الشمال

الشحاذون يجيئون ويروحون على ضفتى النهر الأصفر

يجيئون ويروحون على جانبى السكك الحديدية

في الشمال

الشحاذون بأكثر الأصوات إيلامًا

يصرخون بمعاناتهـــــم

يقولون إنهم جاءوا من مناطق مدمرة

أو من ساحات المعارك

الجوع والمجاعة أشياء مخيفة

يجعلون الكبار ينسون عطفهم

يُعلِّمون الصغار كيف يكرهون

في الشمال

يستخدم الشحاذون البلاهة والتحديق

ليجمدوك بأعينهم

حتى ترى أى شىء تأكله

كالطريقة التى تنتزع بها أظافرك بأسنانك

في الشمال

الشحاذون

يمدون دائمًا أيديهم

السوداء كالسخام

ليسألوا عن عملة نحاسية أواثنتين

من أى فرد

حتى من الجنود

الذين فقدوا النحاسة التى تحمل أسماءهم .

سكة حديد - لونغ باى

ربيـــع ١٩٣٩

شارع

عشت يومًا فى هذا الشارع

مع الذين اقتلعتهم صفارت الإنذار الحربية من مدنهم

أطفال ، نساء حوامل ،

رجال مرضى ، عجائز مصابون بالربو،

سيدات مسنات يجرجرن أطفالاً ، ...

الأيام تمضى فى فوضى

أعداد لا تحصى من البشر شحنوا فى عربات نقل

إلى هذه المدينة الصغيرة

الشارع أصبح يعجُّ باللاجئين والجنود المجروحين ،

والشباب الذين انتزعوا من مدارسهم

الهواء يطنُّ باللهجات المختلفة المتعددة

الشارع تغيّر ، الحرب جعلته يزدهر
شُيِّدت على جانبيه أكشاك لبيع كافة أنواع المنتجات
تحولت محلات البوظة إلى أماكن لتقديم الطعام ،
تحولت دكاكين البقالة إلى مواضع للنوم
تحول المنزل المواجه لبيتى إلى مستشفى مؤقتة

فى أحد الأيام ، لوثت أجنحة سوداء سماء هذه المدينة الصغيرة
أرسلت إحدى القنابل المغيرة كوارثها إلى المدينة
أمطر العدوالشارع بالموت والدمار
تُركت المدينة للخراب

انظر ، سطح هذا المنزل تمزق
حوائطه لن تجتمع ثانية
الآبار تختنق بالحطام
العوارض الخشبية اشتعلت وتفحمت

فر البشر جميعًا من هذه الكارثة
(من يهتم أين ذهبوا ؟!)

ولكن انتظر ..هناك إنسان سبق أن قابلته

إنها فتاة شاركتني هذه الأحداث

تمر فى الشارع

تحّيينى كأنها مرتاحة البال

شعرها قُصٌ قصيًرا ،

وساقاها كُسِيت بلفافات الساق العسكرية

إنها بالفعل ترتدى الملابس العسكرية الخضراء .

قويلين

ربيع ١٩٣٩

يموت للمرة الثانية

١ـ النقالة

عندما استيقظ

كان ممُدًا فوق نقالة

يعلم أنه مازال حيًا

اثنان من زملائه يحملانه

لا ينبسان بكلمة

الهواء مُثقل برياح الشتاء الباردة

السحب معلقة منخفضة ، و تتحرك ببطء

وبصمت تهز الرياح أعالى الأشجار

كانا فى عجلة

يحملان النقالة

عبر غابات الشتاء

قلبه الآن فى سلام
بعدما عانى الآلام المبرحة
مثل ساحة المعركة التى شهدت مؤخرًا صراعًا مريرًا
هى الآن فى سلام أيضًا

دماؤه
تتسرب من الضمادات التى تحتضن ذراعيه
قطرة تلو الأخرى
تتساقط فوق طرق الوطن الشتوية

لكن هذا المساء
فى الاتجاه المعاكس لاتجاه النقالة
هناك انتشار لجنود أكثر مما سبق عشرات المرات
ومع خطواتهم التى تعد بعشرات الآلاف
سوف تمحى آثار دمائه المتساقطة
التى تركها خلفه

٢ ـ المستشفى

أين ذهبت بنادقنا ؟

ملابسنا التى سُبِكت بالدماء والرمال ؟

خوذاتنا ؟

نرتدى ملابس قطنية عليها صليب أحمر

ممددين

وسط أجساد بشرية لا تُحصى

شُوهت بالأحماض الآكلة والغازات السامة

فى أعيننا خوف أسود

فوق شفاهنا أنين لا ينتهى

الأيام تأتى وترحل دون حصرٍ

مثل مجىء ورحيل مواكب التوابيت السوداء

حيث نوجد

الآلام

لا تفرق بيننا

فكل منا

لايملك سوى حياته

قاوم انقضاض العدو

تشرب نيرانه القاتلة

سُفِكت دماؤه

فوق الأرض التى دافع عنها

و الآن أصبحنا ممددين

قيل لنا لقد نلتم مجدكم

ولكن لم يكن هذا ما ننشده

فنحن ممددون وساحة المعركة لاتزال فى قلوبنا

ذكراها يفوق ذكرى القرى التى نشأنا بها

كنا نفضل

أن نهاجم وسط لهيب المعارك

لكننا الآن

أصبحنا قطيعًا من الحيوانات المقيدة

نفترش الأسرّة الحديدية

ننتظر أن تنتهى آلامنا ؟

حتى نحقق أحلامنا ؟

٣ ــ كفان

في وقت محدد من كل يوم

تأتى الممرضات بأرديتهن وكاباتهن البيضاء

يجئن ويذهبن فى صمت

يحللن ضمادات شاش الجرحى

وبنعومة يمررن فوقها قطعًا من قطن تشبع بصبغة اليود

ينظفن الجراح المتقيحة والدماء

أيديهن الرشيقة تداوى وتواسى

لن نجد زوجات على هذا النحو

حتى أخواتنا لن يكن بمثل هذا النحو

ينظفن القيح والدماء ، ويضمدن الجراح

يستخدمن كلٍّ إصبع من أصابع أيديهن

يستخدمن هذه الأصابع الطاهرة النحيلة

وفوق أحد هذه الأصابع العشرة هناك تألق ذهبى

ينعكس ضياؤه فوق جزء خاص من قلوبنا

يرحلن دون ثرثرة

ولكن بعد رحيلهن أتأمل كفى

هاتان الكفان اللتان حملا يومًا فأسًا ورفعا يومًا سلاحًا

اللتان صارتا قاسيتين من العمل الشاق

الكفان اللتان نبتتا من ذراعين تحمَّلا الجراح

أنظر ليدىَّ وأتذكر أيديهن

أتأمل و أتساءل

أتساءل و أتأمل

آه ، ياللعجب من تصاريف ذلك القدر

يجعل هاتين الكفين المختلفتين تلتقيان سويًا

٤ ـ الاستشفاء

الأيام مرت كقبض الرياح

ترك المستشفى

مثل مجرم يغادر السجن

جسده حر من الملابس القطنية الثقيلة

يرتدى زيًا رماديًا خفيفًا

لازالت شارة الصليب الأحمر على ثوبه

الحربية ،

أشعة الشمس ،

ارتدى العالم ثوب الربيع

أعداد لا تُحصى من البشر تموج بها الشوارع

يشعر أنه غريب بينهم رغم أنه فى وطنه

وفجأة تضرب الشمس الشوارع

يستيقظ مروعًا من سُباته العميق

الحياة تتألق فى سرعة

البشر يمضون حوله فى خطوات مسعورة

وهو لا يزال بمفرده يكبله ذلك الشعور بالتعب

لم يلاحظه أحد

جندى كان جريحًا ،

واليوم شفيت جراحه

يشعر بالسعادة

لكنه يتنبه فجأة

لمعنى شفائه

يدركه الآن ،

فقط فى هذه اللحظة

إنه جندى

والجندى يجب أن يعانى من الإصابات فى المعركة

وعندما يشفى يجب عليه أن يعود إلى ميدان القتال

أفكاره تطارده فى سيره

يشعر أن خطواته غير طبيعية

فوجهه الشاحب يبدو فظيعًا

البشر يمرون به ،

لا يرى أيًا منهم

الآلام التى تعلو ملامح وجهه

باستثناء شمس الظهيرة

التى ترسل أناملها الحانية المضيئة

لتهدئ من نظرته الآسفة ووجهه السقيم

وجهه الضاحك المخضب بالآلام

٥ ـ مِشية كبرياء

يرتدى زيًا رماديًا عليه شارة الصليب الأحمر

سترته علقت على كتفيه ،

أكمامها تتدلى فى ترهل

يسير ليلاً فى أحد الشوارع الواسعة بالمدينة

يسير فى شوارع المدينة الواسعة التى تصيبه بالدوار

فمن كل صوب وحدب: أنشطة البشر ، أصوات الحشود

أصوات السيارات ، أصوات الأبواق ، صفارات الشرطة

هنا صُدِم ، وُدفِع ، وطُعِن

هنا فوق الرصيف الناعم

هنا تحت الأضواء المبهرة

هنا فوق الطرق الممهـــدة

هنا بمحاذاة مواكب السيارات حديثة الطراز

هنا فى مواجهة السيدات اللاتى يرتدين ملابس جميلة

آه ، كم هو جلى بينهم فى ملابسه الرثة

ورغم ذلك يطيل خطوته بكبرياء

(لأنه يرتدى رداء الفخر)

يشعر أن ذلك حقه

أن يسير بهذه الهيئة عندما يخرج للعالم
وحق من هم على شاكلته فقط
أن يسيروا فى هذا العالم على هذا النحو

ويقوم بإعداد نفسه للمشى
ذقنه لأعلى ، وخطواته واسعة مستقيمة
يظنُّ أن العالم ينظر إليه وهو يسير
وجهه يغمره ضوء كهربى
يعكس حرجًا يعتريه
يشعر بخوفٍ من كل أولئك البشر
الذين يظن أنهم قد أدركوا السر الذى يجيش بقلبه
لكن واقع الأمر أن أحدًا لم يلاحظه على الإطلاق

٦ ــ الأرض الزراعية

فى يوم جميل مشرق
قادته خطواته إلى الأرض الزراعية
كأن شيئًا دعاه إليها

اليوم تسير قدماه

فوق الأرض المحروثة بتربتها الناعمة

يشعر بسعادة لا توصف

يخلع نعليه

يغرس قدميه فى قناة ضحلة

يداعب بيديه الماء المتدفق حوله

فقد عاش فترة داخل السجـن

وعاش الأيام التى تحكمها شارة الصليب الأحمر

وتركت له هذه الأيام

ذكرياتٍ سوف يحكمها أيضًا شارة الصليب الأحمر

ولكن اليوم يجب أن يعود لهذه الأرض الزراعية

كما لو كانت المرة الأخيرة

يبحث عن شيء ما كما لو انه يجذبه

ذلك الشيء الذى لا يعرفه هو نفسه

يرى حقول الأرز

يرى المزارعين

يرى ثيرانًا تجر المحاريث

آه ، إنها جميعًا متشابهة

متشابهة في كل مكان

يقول الناس إن هذه هي الصين

بأشجارها الخضراء وأراضيها التي يكسوها العشب

ينحون جانبًا الجدران الطينية

وتلك المنازل البسيطة المكسوة بالقرميد

يفكر في البشر الذين يقولون إن هذه هي الصين

يمشي ويمشي

ياله من يوم !

إنه الآن سعيد ، سعيد بنشوة

حتى احتفالات الربيع لا تجلب له هذه السعادة

كل شيء يتلألأ في ضياء اليوم

كل موضع يتألق في ضياء اليوم

يبتسم لمزارع منهمك في عمله

إنه لا يعرف لماذا يبتسم

أو هل لاحظ المزارع ابتسامته أم لا ؟!

٧ ـ لمحة

بطول الطريق الممتد صوب الضواحى

على الطريق المحدد بالأشجار

يسير فى ظلال كئيبة

يستظل من وهج أشعة الشمس الحادة

يرى بضع عربات تجرها أحصنة رشيقة

يجلس داخلها

بعض الفتيات والفتيان شديدى التأنق

من شفاههم تتدفق موجات من الضحك

تتصارع دردشات جهورية ،

وجدها غير مريحة

سار مثل عجوز محطم

وببطء اقترب من حديقة

وفى مواجهة مدخلها

بالقرب من بوابة رخامية مقوسة

رأى جنديًا مشلولاً

فجأة باغتت قلبه مشاعر قوية

بدأ عندها فى التفكير

ربما كان هذا الرفيق المشلول

أشجع من أى فرد آخر،

ربما تمنى أن يُدفن فى ساحة المعركة

لكنه الآن ممدد ينوح

ينوح ممدداً

لكى يمضى سنوات عمره الباقية

آه ، من يملك قلبًا يستطيع النظر لمثل هذا

آه ، إن من يرى هذا

لابد أن يشعر بالغضب يفور فى قلبه

دعنا نذهب ونقاتل ثانية

دعنا نذهب ونموت بسعادة فى ساحة المعركة

لا تدعنا نعود بساق وحيدة

نبكى وننوح فى مواجهة كل فرد

نمدُّ كفًا نحيلاً قذراً

نتسول الشفقة والصدقة.

٨ ــ تبدل

نزع ثوبه الرمادى ذا الصليب الأحمر

وارتدى ثانيةً ملابس الميدان المموهة التى انتُزِعت منذ أشهر

أين الدماء التى كانت تصبغها ؟

أين الموضع الذى اخترقه الرصاص ؟

جميعها أصلحت

عندما ارتدى ملابس الميدان شعر بنشوة تغشى قلبه

نشوة تفوق ذلك الشعور الذى شعر به عندما ارتدى ذلك الزى للمرة الأولى

يشعر أن ملابس الميدان هذه والزى الرمادى ذا الصليب الأحمر

قد ارتبطا منذ أمدٍ بعيدٍ

وسوف يبدل ارتداءهما للنهاية

فهذا ما يجب أن يكون عليه الأمر

للجندى .. له

فقبل تحرير وطنه

يجب أن يكون هذان *الزيَّان* رايتين له فى *الحياة*

وهاتان الرايتان يجب أن تحلقا عاليًا

ترفرفان فوق أرض الوطن المسجون

٩ ـ وداع

مدفوعًا بصوت النيران التى تدوى

مدفوعًا بصوت النفير الذى يوقظ كلَّ مَنْ فى الدروب

مدفوعًا بصوت هدير الحشود التى على جوانبها

يسير فوق الطريق الذى مهدته آمال البشر

يسير فوق الطريق الممتد من عالم اليوم إلى عالم الغد

يسير فوق الطريق الذى سوف يتذكره من سيأتى بعده ويسير فوقه

صدره منتفخ

خطواته منظمة

فقد بدأ من نقطة تلاقى ثقة النفس مع الكبرياء

قلبه لا يفكرفى شىء سوى المجد

لايفكر فى شىء سوى السعى وراء الشرف

لايفكر فى شىء سوى الترحيب بالموت فى مساعيه الشريفة

١٠ ـ تأملات

أنت لاتعرف

ما الموت ؟

أن تموت هو ألا تكون

وأن تعيش هو أن تكون

فالطيور والحشرات والنباتات

يتغير ريشها وقشورها

فى حياتها

ما المغزى ؟

ماذا يعنى كل هذا ؟

إنه لكى تكون جنديًا بمعنى الكلمة

يجب أن تمنح حياتك للمعركة

أن تموت على ضفاف النهر

أن تموت فى الأحراش

أن يتجمد جزعك و يتيبس من الندى البارد

أن تتحلل جثتك فى قلب الأعشاب البرية

كم من الأجيال مضت

ضحى الإنسان فيها بحياته

ليخصب التربة

واستخدم التربة

ليقيم أود حياته
مَنْ منا يستطيع أن يفرَّ من قانون الطبيعة هذا ؟
وما الخطأ فى أن نموت من أجل هذا ؟!

نحمل بنادق فوق أكتافنا
تتأرجح للأمام والخلف
نسير فرادى وطوابير

ألم تُبتَلَ قلوبكم يومًا
بشىء أقوى من الحب؟
ألم تشعر يومًا
أنك عشت حياتك ؟
وأنك قد يرضيك أن تموت فى ذلك اليوم
وأن هذا الموت قد يكون
من أجل من لا تعرفهم
من سوف يأتون بعد ذلك
ومن أجل هذا قد تكون حياتهم أسعد من حياتك.

كل المجد

كل أناشيد المدح

ما قيمتها ؟

إن لم نفكر فى الموت من أجل رسالتنا المقدسة

وتلك الرسالة فى النهاية ،

أليست جزءاً من رسالة البشر ؟

١١ ـ تقدم للأمام

تقدم للأمام ، كن شجاعًا

ثبِّت حراب رفاقك فى الجيش

اجمع آلاف الأرواح

فى هدف واحد عام

لكى تناضل لتحرير الوطن

ماذا هناك لنخشاه ؟

بعد أن أدركنا مجد الموت فى ساحة المعركة

تقدم للأمام ، كن شجاعًا

صوب الأماكن التى تتساقط فوقها القنابل بغزارة

صوب الخنادق التى تبصق رصاصها خارجًا
انظر كيف يبدو العدو كالزنبق الجبان
إنه يرتعد حتى قبل أن تصله أصوات تدافعنا للتقدم
تقدم للأمام ، كن شجاعًا
فالعار والذل
لابد أن نحضرهما له فى النهاية
يجب أن ننتزع من أيدى أعدائنا
مصير الوطن
فهذا الكفاح المقدس
سوف يمنحنا حريتنا وسعادتنا ...
تقدم للأمام ، كن شجاعًا
هذا هو يوم المجد
مُنح لنا
لنستعيد حياتنا
يجب أن نصارع صعابًا لا تلين
أن نكون أشداء وأقوياء
رفقاء السلاح يثبتون حرابهم
كن شجاعًا، تقدم للأمام

١٢ ـ السقوط

كان الأمر سريعًا جداً

لا يسمح للحظة تفكير

لحظة مفاجئة

كومضة برق

أو انفجار رصاصة

لثانية .. ولآخر مرة

تخترق جسده

تنتزع حياته

يرحل عن هذا العالم

وفى النهاية

يُقتطع بفأس هائل

مثل شجرة سقطت

هذه النوافذ التى رأى منها العالم

تلك العيون التى فاضت يومًا بدموع البهجة

سوف يغلقها للأبد

إنه لا يستطيع أن يفكر فى شىء على الإطلاق
فوالدته قد ماتت
وليس لديه زوجة
كان الأمر بهذه البساطة

جندى
لا يعرف شيئًا عن كثير من الأشياء
يعرف فقط
أنه كُتِب عليه الموت من أجل حرب التحرير
وعندما سقط
كان كل الذى يعرفه
أنه سوف يمدد فى تربة وطنه
لأن البشر
الذين يعلمون أكثر منه
قد أخبروه بهذا

بعد برهة سوف يأتى
رفقاء سلاحه للبحث عنه ثانية

هذه المرة سوف تكون الأخيرة

ولكن

ما سوف يحضرونه لن يكون النقالة

بل جواريف حفرٍ

سوف يختارون أحد المواضع دون تحديد

موضع دافع عنه يومًا بحياته

ربما لن يكون بعيداً عن ضفة النهر

سوف يحفرون قبراً ضحلاً

وبعد أن يغطى الطمى الممزوج بعشب الربيع

جثته

سوف يترك لهذا العالم

إحدى ربوات الأرض التى لا تحصى

المبعثرة مثل النجوم فوق أرض الوطن

تلك الربوات

لا يستطيع أحد أن يميز أسماء موتاها

حتى وإن استطاع

فما المغزى ؟!

نهاية ربيع ١٩٣٧

البرارى المقفرة

آه ، كم يحجب الضبابُ البرارى المقفرة ...

المرء لا يستطيع أن يرى عبر الأفق الرحب
ما يقف تحت السماء الشفافة
أشجار الصنوبر تختفى
و ما وراء تلك الأشجار
وفى المواجهة
تُلمح الجروف الطبشيرية بصعوبة
وتدريجيًا تتناقص
ملامح الطريق المتعرج المظلم
وعلى جانبيه
الحقول الجافة التى تتألم

تلك الحقول التى تسكن القفار

تكسوها كتل التربة المقلبة

وخليط من الأعشاب البرية الجافة

وسيقان الحبوب المتعفنة

وفى ذلك الاتساع

حدود من اللونين الأبيض والرمادى

هنا وهناك

يبزغ تناغم لونى

يتدرج بين لون الشاى المحترق والأصفر الداكن

باستثناء بضع بقع من اللفت والخضروات

تحجبها غابات بيضاء

تاركة رقعًا من الخضرة

تزين

هذه الصورة الرتيبة الكئيبة

للريف المتواضع

وهذه البرك

التى عانت طويلاً من الجفاف

أوشك ماؤها أن يختفى

وفى الطبقة الرقيقة البيضاء الصلدة

تتلوى بضعة خطوط بنية شاحبة

خنادق متمردة

تحاصر الطحالب المائية وأوراق اللوتس

التى كانت يومًا خضراء وافرة النماء

مضى وقت طويل منذ أن أبتلعتها المياه

ماذا بقى منها ؟

جذوع مغضضة عوجاء

تقف بعناد

فى الأبخرة المتصاعدة ببطء من البرك

منحدرات الجبال تهوى فى المواجهة

الطريق يلتف حولها

يستمر صعوداً وهبوطًا

ليختفى داخل الأخشاب المتناثرة

فوق المنحدرات

وعلى جانبى الطريق المتدرج بين الرمادى والبنى
تنعكس الكآبة والخراب
باستثناء بضع رواب ٍ خضراء متناثرة
وألواح حجرية سوداء
أوشكت أن تدفن فى طى النسيان

كل شىء
أصبح بارداً ومهجوراً

آه، الطريق الملتوى
البشر فوقه يروحون ويجيئون
فى كل اتجاه
ورغم ذلك يتتبعون نفس الظلال
لينتهوا إلى نفس المصير

فى الطريق المواجه ،
الوعر الحزين

يكمن المرض والكوارث و الموت

لأولئك الذين يهيمون فى البرارى

ومنهم من لم يذق السعادةَ يومًا فى حياته

لا ازال أشعر

أن برارى الشتاء

قريبة منى

فشعريرتها تجمد عظامى

كم سرتُ فو ق الجسور الوعرة

وبطول حواف البرك المقفرة

وسفوح الجبال البنية والسوداء والرمادية

ومع كل خطوة حمل ثقيل يأخذنى للأسى

مثل جاموس عجوز انتهت من حرث الحقول

تحمل فوق كاهلها أحمال من ضجر

آه ، من الضباب

أبيض ، رمادى ، كثيف

يمتد أمامى

خط واحد قوى أعمدته تصطف الواحد تلو الآخر

تنتشر أمامى

باتساع وعمق ، بلا حدود ...

أنت برية

كئيبة وكادحة

لايوجد صوت

كل شيء يبدو كأنه غُطِّى بالضباب

و فى وسط كل هذا

دغل من الشجيرات يستطيع المرء أن يتجاوزه بصعوبة

تنبعث منه زقزقة

لعصافير ترتعش

خائفة من البرد القارس

وداخل سياج الشجيرات

بضعة أكواخ تحتشد سويًا

متشابهة

وحول جدرانها حطب ينتشر فى فوضى

وملابس رثة عُلِّقت على أعمدة من خيزران

تنوح

بعويل لا ينتهى

لحاء الأشجار المتجمد الذى يغطى الأكواخ

يتصاعد منه دخان المطابخ

ليرسم صورة من قذارة لايمكن تجنبها

البشر فى هذه الأكواخ

بإلهامات الأيام الموحشة التى يحيونها

يكفنون فى كآبة الحياة ...

حيث الفجر يأبى المجىء

هم وماشيتهم يتنفسون نفس الهواء

أسرَّتهم مثل حظـائر الحيوانات

أغطيتهم رثة

قذارتها مثل قسوتها

وقسوتها فى خشونة الطين...

البرد والجوع

والجهل والخرافات

يُحكمون قبضاتهم الحديدية

فوق هذه الأكواخ ...

مُزارع يحمل سلتين من خيزران

يخرج من الضباب

دون شيء سوى كفتى ميزان

وحفن من ثوم فى سلتيه

قبعته من اللباد الذى تمزق رتقه

وجهه قذر مثل ملابسه

يداه تشققت من الصقيع

يخفيها داخل نطاقه

قدمه العارية

تتعثر وهى تطأ طرق الصقيع

وفى هدوء

يحمل فوق كتفيه عصاة

تتدلى منها كرتان تضمان حمله

وببطء

يبتلعه الضباب الذى أمامه

آه ، أيتها البرارى المقفرة

كم ستعانين

من الحزن والظلم

ورغم ذلك تظلين صامتة ؟!

آه ، كم هو كثيف ذلك الضباب الذى يحجب البرارى المقفرة .

فجر ٣ يناير ١٩٤٠

بركة شتاء

بركة شتاء

وحيده مثل قلب رجل عجوز

قلب عرف كثيراً مرارة العالم

بركة شتاء

جفَّت مثل عينى رجل عجوز

عينان محا العناء بريقهما

بركة شتاء

تلاشت مثل شعر رجل عجوز

شعر رمادى اللون تناثر مثل هشيم الشتاء

بركة شتاء

معتمة مثل حزن رجل عجـوز

رجل عجوز تكور تحت ظلمة السماء .

١١ يناير ١٩٤٠

أشـجـار

شجرة .. وشجرة

كلتاهما تقف منتصبة ووحيدة

الهواء والريـاح

يحيلان المسافة بينهما إلى صروح .

ولكن تحت سطح الأرض

تمتد جذورهما

وفي الأعماق التي لا تُرى

جذور الشجرتين

تتشابك .

ربيع ١٩٤٠

احملوهم

من فضلكم طريق

من فضلكم سيروا على الرصيف

دعونا نحملهم

من فضلكم لا تتدافعوا

من فضلكم قفوا بأحد جوانب الطريق

دعونا نحملهم

من فضلكم لا تصيحوا

من فضلكم أظهروا الاحترام بصمتكم

هذه المرأة

انفجرت جمجمتها بفعل قنبلة

دعوها تغلق عينيها في سلام

إذ ربما تستيقظ تدريجيًا بعد برهة

دعونا نحملها لمنزلها

دعوا عائلتها ـ فى الدموع والمرارة ـ يهتمون بالأمر

هذا أحد أفراد الدفاع المدنى

فى زيه الرمادى ، لايزال يحمل فوق ذراعه شارة الجيش

هل تعلمون من هو ؟

وجهه مغطى بالتراب !

شظيه لا ترحم أصابت ذراعه الذى طالما عمل بكد

من فضلكم طريق

من فضلكم أظهروا له بعض التقدير

لقد عانى جراحه ليخفف من خسارتكم

من فضلكم لا تتدافعوا

فلا يزال القادمون أكثر

جنود جُرِحوا فى الجبهة

كانوا يرقدون فى أسرَّتهم بالمستشفى

ينتظرون شفاء جروحهم

ليستطيعوا العودة لساحة القتال

قصف العدو الوحشى كل شىء

حتى المستشفيات

وجراح الجرحى تضاعفت

من فضلكم طريق

دعونا نحملهم

من فضلكم كلٌ يلزم أحد الجوانب

دعونا ندخل بالنقالات

من فضلكم احفظوا فى ذاكرتكم كل هذه الديون التى اشتُرِيت بالدم .

١١ يونيو ١٩٤٠

مرثيـة لباريس

" برلين ، السـادسـة مـسـاءً ، فى الرابع عـشـر من يونيـو طيـرت وكـالات الأنبـاء عبر المحيطات خبراً مفاده أنه طبقًا للتقارير الرسـمية فإن الجيش الألمانى قد دخل هذا الصباح باريس ..." .

الألوان الثلاثة " الأحمر، والأبيض ، والأزرق "

هـوت

من مكانها وخفقانهـا

على ضفتى نهر السيـــن

وفوق ميدان الكونكـــورد

هل هو العلم ذو الصليب الأسود المعقوف فوق لون الدم ؟!

الآن فى مياه السين

مع أنّات حزينة ليلَ نهار

تتدفق ببطء
دموع المدينة التى سقطت

البنايات المهيبة سقطت
وسقطت معها
" الحرية ، والعدالة ، والإخاء "
المحفورة على بواباتها العظيمة الضخمة

فى مواجهة مقبرة العظماء بباريس
والعاجزين
يسير موكب النصر
أكثر زهواً من موكب الإمبراطور الأول
وفى هذا الاستعراض الطويل المهيب
خطوات رجل
أكثر تهوراً من نابليون

التماثيل البرونزية لروسو، وفولتير ،ودانتون
حطمها الجنود عديمو الرحمة

وفى مواضعها

يقف

هتلر ، وجوبلز[١] ، وجورينج[٢]

واضعين أيديهم فى خصورهم

تاريخ البشرية

قد أضاف صفحةً هزليةً

وفصلاً سخيفًا

وفى الجانب الآخر من الصفحة

تنساب فى السر دموع بريئة مميتة

فرنسا

تغزل بك أحد الشعراء[٣] ،

قائلاً إن اسمك هو الديمقراطية

(١) جوزيف جوبلز (١٨٩٧ – ١٩٤٥) : زعيم نازى ألمانى " المراجع ".

(٢) هرمان جورينج (١٨٩٣ – ١٩٤٦) : زعيم نازى ألمانى " المراجع".

(٣) والت ويتمان (١٨١٩ – ١٨٩٢) المحرر.

وإنه أكثر الأسماء جمالاً فى العالم

اليوم أيدى الألمان تمحوا هذا الاسم

لتجعله صوتًا أجش

ألمانيا

فى الشوارع الكبرى حيث اعتدت أن أتجول

لم يكن هناك أمريكان ينشدون قضاء أوقاتٍ سعيدة

أو سيدات مهذبات تأسرك بدلالها

أخذوا الأقنعة الحريرية التى ارتدوها مع ملابس الحفلات

وقفازاتهم السوداء

ورحلوا صوب بنوك الكونغو فى أفريقيا

كم هى واسعة وفسيحة

حقول الألزاس

حيث عربة المارجريتس

اعتادت أن تسير فى جولاتها

الدبابات الآن

تسرع فوقها بشارت الصلبان المعقوفة

مع الفرق العسكرية بهتافها " ليحيا هتلر "

هنا مُدَّعو الشجاعة الوطنية

بأحذيتهم ذات الرقبة والمهماز المعدنى

تدوى فى الشوارع بصوت يصم الآذان

يشقون طريقهم بالقوة صوب إحدى المقاهى المغلقة منذ أسبوع

يرهبون امرأة عجوز

لتخدمهم بخمور كى يسكروا

آه ، مدينة الثقافة والفن

اليوم ، الفرق الألمانية الغازية

جاءت لتحطم أبواب متاحفك

استخدموا حرابهم لينخسوا

أيقونات دافيد[١] و دولاكروا[٢]

ويدخلوا حمامك التركى

(١) جاك لويس دافيد (١٧٤٨ ـ ١٨٢٥) : رسام فرنسى حظيت رسومه التاريخية بشعبية واسعة فى عصره . " المراجع "

(٢) أوجين دولاكروا (١٧٩٨ ـ ١٨٦٣) : رسام فرنسى يعتبر زعيم المدرسة الرومانتيكية . " المراجع "

الذى صادره مركز القيادة العام

وفى كل المكتبات ومعاهد الفنون الجميلة

نسخ من " كفاحى "[1] تُوزع

وصورالزحف على باريس تُعلَّق

باريس ، حكامك المترددون

خذلوكِ

دالادييه[2] وريناود[3] قالا

إذا طُردنا خارج أوربا

سوف نتوجه إلى شمال أفريقيا

وفى أحد الأيام ، إذا كان ذلك ضروريًا

سوف نهاجر إلى مستعمراتنا فى أمريكا

مازالت تسكرهم أوهامهم التافهة عن القوة

(١) اسم كتاب من تأليف هتلر . " المراجع "

(٢) إدوار دالادييه (١٨٨٤ ـ ١٩٧٠) : سياسى فرنسى ، عمل رئيسًا للوزراء عدة مرات . " المراجع "

(٣) بولس ريناود (١٨٧٨ ـ ١٩٦٦) : رئيس وزراء فرنسا ، اعتقلته القوات الألمانية بعد استسلام بلاده . " المراجع "

و الآن

أنتم رائعون ، صامدون

ياشعب فرنسا

يامن تشردوا فى النهاية

لاجئين يتوكأ عليهم شيوخهم

يجرون صغارهم

مثل الأفاعى الطويلة

تسعى بطولها دون نهاية

من أجلكم ياشعب فرنسا

أنا حزين

-

كلا

شعب فرنسا شجاع

فهذه ليست المرة الأولى

فالجنود البروسيون قد دخلوا باريس

فى كل مرة كان الذين يدحرون الغزاة

شعب فرنسا بأنفسهم

تاريخ فرنسا المجيد
كُتِب بدماء شعبها الشجاع

سوف نحفظ إيماننا بالزمن
الزمن الذى سوف يسلم النصر
إلى أولئك الذين عشقوا الحرية والديمقراطية ...
شعب فرنسا

فى هذه اللحظة
عندما أستعرض ذكرياتى عن باريس
يرنُّ
فى أذنى
النشيد الوطنى الفرنسى
أمام عينى
أرى العمال خارجين
من قاعة لينين فى صف شجاع قوى البنية

عندى إيمان
بأنه عندما

يرحل دالاديه وريناردو

سوف تنهض فرنسا ،

ثروتها

نساؤها،

عطورها،

شعبهـــا

من بوردو[1] إلى شمال أفريقيا وأمريكا الجنوبية ...

مرة أخرى

سوف يكون الرجال

متاريس فى الشوارع

والمتاريس سوف تناضل ضد أعدائها

عند ذلك سوف نشهد ولادة التقسيم الإدارى الفرنسى من جديد .

مدينة تشانغ تشينغ

يونيو ١٩٤٠

(١) مدينة Bordeaux الفرنسية تشتهر بصناعة النبيذ الأحمر والأبيض . " المراجع "

طريق عام

مثل الأمريكان

فى هبوطهم طريق كاليفورنيا

أهبط من الهضبة العليا لغرب الصين

فوق إحدى الطرق الممهدة حديثًا

آتٍ من وادى عشش فى قلب الجبل

من قرية متواضعة

من منزل بسيط ، غُطِى بالسَّخام ، وسُقِّف بالقرميد

من عند مزارعين صادقين عطوفين بفطرة المعاناة

أعدو فوق الجبل

أترك الهواء وأشعة الشمس

والوطن الحر الممتد أمامى

مثل المحيط
يخلصنى من غضبى
ينزع مشاكل حياتى
أترك السماء الممتدة بلا عوائق
ومحيطها الذى لا يعرف الحدود
تهدأ آهات قلبى التى اختنقت طويلاً

شريط الطريق الطويل
يرافق خطوط الكنتور[1] فى تدرجها
وبنعومة ينساب فوق جانب الجبل الصاعد
يصعده الناس ببطء ليصلوا إلى قمة الجبل
وتدريجيًا يجد الناس أنفسهم بعيدين عن العالم
يجوثون فى طبقات الجو العليا
كأنهم يحلقون فى الهواء...
تعبتُ
فوق جزع إحدى الأشجار العجوز

(١) خط وهمى يحدد النقاط ذات النسب المتساوية من سطح البحر . " المترجمان "

أجلس لأستريح
أصغى لخرير المياه وهى تنهمر
من الجروف شديدة الانحدار
أشاهد النسور والصقور
تحلق وتصيح
بالقرب من موضعى ...

ألمح قافلة من بغالٍ تحمل أجولة فحم
بكسلها وطيشها وفرقعة السياط التى بلا حياة حولها
و قائدها فى أسماله البالية
يمرون بانتظام من هذا الطريق
لينعطفوا داخل أحد الممرات الجبلية المهجورة
أستطيع أن أتتبع خطاهم
وأتخيل فى هذا الممر
بالقرب من أحد المعابد القديمة المتصدعة
صفًا من منازل بسيطة تمارس فيها الحرف البدائية

أرى سيارات شحن محملة لآخرها

تمر فى قعقعة مبهجة

بشُحناتها التى تصطك سويًا

وهؤلاء الشباب

الذين يرونى كأحد الرحالة المسافرين على أقدامهم

يهتفون لى ويلوحون بأيديهم

فى هذه الأيام

أتأمل فيما يجول بخاطرهم

ومايجول بخاطرى قد لا يجمعه نفس المصدر

لكن قلوبنا جميعًا تفيض ببهجة يتعذر كبتها

هناك أيضًا سيارات سريعة

تومض بأضواء من معدن الكروم

ترسلها بعيدًا

كأجنحة من ضوء أبيض

تنتعش بالسرعة

وعند قمة الجبل

تحلق بلا خوف فى تشكيلات متنوعة

تغرينى مشاعرى وأفكارى

أن أطاردها صوب السماء

وعندها

تشعر روحى بالتحرر

تتنفس رئتى هواءً جديداً

تُفتح عيناى باتساع على أفق بلا حدود

قدماى تترنحان من البهجة

أتأمل هذا الطريق الذى صاغته

أيدٍ قوية ومطارق فولاذية

ديناميت قوى فجَّر الجروف الصخرية

وعلى جوانبه تقف قمم ترتفع لآلاف الأقدام

مع الصخور ، والطين ، والأسمنت

وعرق عشرات الآلاف من العمال

تُسكب بطول آلاف الأميال من الطريق

وفوقها قبة السماء

أرى فيها آفاق زرقاء تصيبنى بالدوار

عند ضفة النهر العظيم

الذى يتدفق بلا نهاية

عدد لا يُحصى من مراكب داكنة بأشرعتها الرثة

تطفو فوق سطح الماء

ومن هذه النقطة

تبدو كما لو كانت نقاط رمادية غير محددة المعالم

لكن عندما يتسلق المرء مرتفعات الجبال

فإنه يترك خلفه كل هذه المشاكل

آه ، القلب المنكسر ، القلب المُخلص

الذى عانى من البراءة والصراحة

يحيا من جديد

حياة الكرامة والكبرياء

حتى وإن كنت نملة

أو جرادة صغيرة بأجنحتها الصلبة

أن أزحف أو أطير فوق هذا الطريق

فهذا أمر لا يفوقه متعة

اليوم أرتدى حذاءً من قش

وأعتمر قبعة من خـــوص

أسير فوق هذا الطريق الممهد حديثًا

أترك لقلبى العنان

أشعر بنشوة لاحدود لها

فالطريق يمتد أمامى

واسع جداً ، ناعم جداً

مستقل تمامًا دون عوائق

يمتد فى مساحة شاسعة

أستطيع

أن أراه بوضوح

يمتد أمامى حتى يلتقى بحافة السماء

يعانقها ويهبط معها إلى الأرض
من موضعى أتطلع فى كل الاتجاهات
أرى الأنهار و الروابى و الطرق والمنازل
وبينها نطاقات من الأشجار
تختلط وتمتزج جميعها بشكل لا يُضاهىَ

فى النهاية يتملكنى ذلك الشعور
أننى أقف فوق قمة العالم .

خريف ١٩٤٠

صبى يحصد

شمس الأصيل تحرق السهل القرمزى
صبى يحصد العشب فى صمت
رأس منحنى ، جسد مقوس ، يدين سريعتين
يتحرك ببطء من أحد الجوانب إلى الآخر

العشب يبتلع جسده الصغير
نرى فقط بين الأكمة العشبية الكثيفة
سلة من الخيزران ، بضع رواب من العشب
وفى شمس الأصيل ومضات ذهبية لمنجله .

عام ١٩٤٠

رجل عجوز

بطول صف طويل من تعريشات القرع
يمتد شِقٌّ طويل فى الطين
رجل عجوز أحدب يقلب التربة
يبذر بعض البذور

يعمل بلا ملل
حدبته ترتفع أعلى من رأسه
يقلب التربة بعناية ،
ينظف الأرض
يزيل الأعشاب الضارة والأحجار

ملابسه داكنة كالطين الأسود
بشرته صفراء باهتة كالأرض الشهباء

وفى السماء تسطع الشمس فوق وجهه
الذى ملأته التجاعيد مثل لحاء الشجر

الفأس فى يده ، يعمل بكل قوته
العرق ينساب من جبهته إلى فكه
يهبُّ النسيم فيسعل برفق بضع مرات
بينما أشعة الشمس الساطعة تضىء وجهه الداكن .

١٧ أغسطس ١٩٤٠

أبـى

هذه الأيام اعتدت أن أرى أبى فى أحلامى
يكسو وجهه عطفًا لم يظهر من قبـل
يبدى نحوى مسحة من غفران
نبرة صوته حانية
كما لوأنه نسى كل الآلام
وتحققت كل أمانيه لحمايتى .. أنا ابنه

فى ربيع العام الماضى ،
كتب لى عدة مرات
تمنى بكل جوارحه أن أعود للمنزل
أراد أن يخبرنى بأشياء عديدة
عن حيازة الأرض وملكيتها
لكن بغضب تجاهلت أمانيه

لم أحرك ساكنًا لأعود لقريتى

كنت خائفًا أن تكبلنى عائلتى بالمسئوليات

أن تقف أمام شبابى

وفى أحد أيام مايو ،عندما أزهرت أشجار الرمان

رحل عن هذا العالم ، وفى قلبه إحباط

ـ ٢ ـ

أنا أكبر أبنائـه

عندما ولدت كان فى الحادية والعشرين

يدرس فى مدرسة ثانوية

فى العام الأخير من عهد " مانشو "[١]

ذو شخصية حانية ومستقيمة

بعباءته الطويلة،

(١) هو من شعب منشوريا المغولى الذى غزا الصين وأسس فيها سلالة حاكمة عام ١٦٤٤ م . " المراجع "

وضفيرته خلف رأسه[١]،

وبشرته الداكنة ،

كان مهيبًا

عيناه كبيرتان مستديرتان تحدقان خارجًا

أذناه تبدوان كما لو كانتا قد أضيفتا خلف خديه

وصفوه بأنه يملك وجهًا سعيدًا

لذا ربما كان ذا نفسٍ قانعة

راضيًا بما قُسِم له

أمضى أيام شبابه على الأرض

ينفخ فى غليونه ، ويرشف نبيذ الأرز

ممددًا على مهد من خيزران

قارئًا لكتاب " قصص غريبة من الأستديو "

بأحاجيها عن الأرواح النسائية والجنيات الماكرة

عندما كان فى السادسة عشرة مات جدى

وأصبحت جدتى أرملة صغيرة

(١) كان الرجل فى الصين القديمة يُربى ضفيرة خلف ظهره . " المراجع "

بعدما اعتادت على تلقى الإهانات من محظية جدى

كان عمى مدمنًا للأفيون

معتادًا على المشاركة فى حفلات القمار ومطاردة النساء

لكن والدى

انكبَّ على زراعته ، والتدقيق فى حياته

لكى يتعلم منها

كان ابنًا بارًا بأمه

وزوجًا وفيًا لزوجته

تأثر بأفكار ليانغ تشى تشياو[(١)]

علم أن التقدم لا سقف له

ساند جماعات الإصلاح

وفى هذه المدينة الصغيرة الفقيرة

كان

(١) ليانغ تشى تشياو (١٨٧٣ ـ ١٩٢٩) : هو أحد قادة الإصلاح الذى قاد حركة الإصلاح عام ١٨٩٨ ضد آخر الأسر الإقطاعية الحاكمة تشينغ (١٦٤٤ ـ ١٩١١) " المحرر " .

أول من قاطع الأفيون الأسود

قارئًا لمجلة المجموعة الشرقية[1]

مشتركًا فى صحيفة شين باو[2]

عضواً فى جمعية المدخرات الدولية

يملك ساعة تصدر صوتًا فى ردهة منزله

ومصباحًا زيتيًا ذا غطاء زجاجى فى غرفة نومه

كان لدينا متجر فى المدينة أنشأه جدنا الأكبر

مليء بالمنتجات الغذائية والنبيذ

يأتى من بكين ومن الدول الأجنبية

وأى شيء تريده

زود عائلتنا بأكملها بالملابس

والمؤن اليومية ، والوجبات السريعة مع الشاى

ومع الفاتورة ، تستطيع أن تأخذ أى شيء تريده

تسعة وثلاثون موظفًا يعملون ٣٦٥ يومًا بنشاط

وفى نهاية العام يكسب أرباحًا طائلةً

(١) جريدة شهرية كانت تصدر فى شنغهاى فى الثلاثينيات . " المحرر "

(٢) جريدة شنغهاى الأوسع انتشاراً خلال الأربعينيات . " المحرر "

لديه بضع مئات من قطع الأرض فى القرية
وبضع عشرات من المزارعين المستأجرين
فى منزلنا كان لدينا أربعة أيادٍ من المستأجرين الزراعيين
جارية ، وخادمة عجوز
عشنا معهما فى رفاهية

حاول دائمًا تجنب المخاطر
باهتمامه وميوله
أراد أن يبنى عائلة مجيدة
ابنته أرسلها إلى مدرسة تبشيرية
ابنه أجبره على تعلم الإنجليزية

بالصفعات والسياط أدب أبناءه
أصبح مستبدًا فى المنزل
علمنا الاقتصاد فى الإنفاق
الطاعة هى ما أقسمنا عليها
أراد أن نكدَّ فى دراستنا

أن نتنبه بشدة لدرجاتنا

أدرك أن المعرفة شيء مفيد

أولاً : يمكن التباهى بها

ثانيًا: وسيلة لحماية الممتلكات

أولئك هم أكثر ضيوفه إيثاراً

لواء جيش متقاعد

مدرس لغة صينية فى المدرسة العليا بعاصمة المقاطعة

طلبة اقتصاد وقانون فى الجامعة

رئيس شرطة المدينة

قاضى المقاطعة

اعتاد أن يتفحص أطلس العالم

يقرأ عن علم المناخ والفلك

عن نظرية التطور لداروين،

أخبروه أن القردة هم أسلاف البشر

ولكن عندما تقدم لمذبح التضحية

اهتز إيمانه

هذا الأمر كان واضحًا جداً فى تصوره

فهو لمن يدينون له بالإيجار والضرائب

صورة محفورة لياما ملك الجحيم

كان ميراثه أكثر تأثيراً من نظرية داروين

بكَسَلٍ نظر للتقدم

بلا مبالاةٍ رحَّب بالثورة

علم أن ذلك " تيار" لامتداد الزمن

وتجنب أن يلاحقه

راقبه فحسب

فى عام ١٩٢٦

بدأ الجيش القومى من الجنوب ثورته

مرَّ عبر قريتى

فى ذلك الوقت أردت الالتحاق بأكاديمية "واهامبو" العسكرية

لكن أبى ظلَّ جامداً

عيناه كانت زجاجية ، لم يجب

كانت الثورة مثل عاصفة مفاجئة جاءت ثم رحلت

عدد لا يحصى من الرجال الشجعان

أصبحوا قرابين للزمن

عندما رأيت ذلك امتلأت نفسى بالرعب والأسى

قلبى أصبح مثل قارب فقد أشرعته

جرفه بحر ثائر

أصحاب الأراضى كلهم تمنوا

أن يكون أبناؤهم أثرياء ، وأن يكونوا من المسئولين

أن يدرسوا الاقتصاد والقانون

لكن من الألوان التى غمست فرشاتى فيها

لمست القليل من صورة الوطن

أشكال الفلاحين الكادحين

آلام وطموح الشباب

دفعتنى إلى الرحيل بعيداً عن المنزل

لكى أذهب إلى العاصمة البعيدة
استخدمت الكثير من كلمات الإغراء والنفعية
كى أنال بالتملق موافقة والدى

وفى إحدى الليالى من تحت أحد الألواح الأرضية
أخرج ألف دولار مكسيكى
كانت يداه ترتعدان ووجهه مظلم
عَدَّ المال كما لو كان يحذرنى
ارجع بعد عدة سنوات
لا تدع اللهو ينسيك الوطن

وعندما جاء وقت الرحيل
ودَّعنى حتى مشارف القرية
لم تكن مشاعرى تقدر
كم هى ثقيلة آماله التى رهنها بمصيرى
قلبى كان يلحُّ علىَّ بقـوة
اخرج من هنا سريعـًا

فِرْ من هذه الأرض الزراعية التعسة
من هذه المدن الصغيرة الفقيرة
هِمْ خارجًا
حَلِّق نحو الحرية

ـ ٣ ـ

سنوات مرَّت على كلماته ،
عدتُ إلى تلك القرية المضطربة
لم يكن هناك شيء بيديه ، أصبح خالى الوفاض
يكتنز مجموعة من الكتب عن الثورة
بعض الرسومات العاطفية
وإحساس عميق بالعار والاستياء
لأجل هذا الشعب الذى كان مستعمرًا

فى يوليو أُلقيت فى السجن
فى أغسطس سُرِّبتْ لى بضع كلمات
عن آمال أبى التي حطمتها
بكى أبى طويلاً

وخلال هذه الشهور والسنوات المظلمة

أرسل لى فيضًا من رسائل معتدلة

تخبرنى أن أكون قدوةً لأخـوتى

أن أتبع أمانى العائلة

استخدم تعبيراته القديمة ومشاعره الحنونة

وترتيباته المسبقة لمشروعات السعادة

ليطمئننى

عندما استرددت حريتى

انتظر بتلهف عودتى مرة أخرى

أرسل لى

مالاً يكفى فقط لعودتى

كرر لى ما قاله الآخرون

" السماء تعلم من أين سمع هذا "

إن الصين ليس بها طبقات رأسمالية

أو شركات ضخمة على النمط الأمريكى

لا تعرف الاستغلال الوحشى بهدف الأرباح التجارية

قال لى أنا لم أكن أبدًا

أضطهد عمالى

لكن إن أرادوا حقـًا ثورة

فماذا سوف يحل بى ؟

عندها أمسك دفاتر حساباته

وفتح دفترًا سميكًا خاصًا بتجارة الحبوب

و بنظرة حانية تطلع إلىّ

وعلى شفتيه ـ التى يغطيها شارب نحيل ـ ابتسامة

أشار إلى عداده اليدوى[١] بإحدى يديه

وتحدث بصوت منخفض

حثّنى أن أرعى أخوتى

ولكن فى نهاية الأمر استشاط غضبًا

عبس

(١) مربع خشبى مشدود عليه أسلاك بها خرز ملون يستخدمه الصينيون لإجراء العمليات الحسابية . " المترجمان "

جزٌ على شفتيه

بدا حزينًا

طرق على المنضدة بأصابعه الممدودة

كان ثائراً من موقف ابنه اللامبالى

الذى يتعامل مع منزله

كمحطة للانتظار

لايرى شيًئا فى ميراث أجداده

سوى القذارة

وفى سعى لأحمى نفسى من الإحباطات

وفى سعى للمُثل العليا المطلقة

تركت قريتى مرة أخرى

حتى بعد أن نزفت قدمى من السير

كنت مستمراً فى التقدم

الآن مات أبى

أصم طبلتى أذنيه ومات

إنه لن يستطيع أن يوبخنى بعد ذلك
لذا ليس عندى الكثير ليقال

كان رجلاً عاديًا جداً
حذراً بطبعه ، راضيًا بقدره
وفى أكثر اللحظات عنفًا
عاش أكثر الحيوات سلامًا
مثل كل مُلاك الأراضى
عاش حياته
محافظًا على القديم دون تجديد
جاعلاً من هذه القرية الصغيرة المطحونة
إقطاعية من المستحيل أن تتغير
والميراث الذى ورثه عن أسلافه
كان يأمل أن يتركه لأنجاله
لا أقل ولا أكثر مما كان
لهذا شعرت بالشفقة لأجله

الآن أبى

رقد فى سلام

فى جنازته

لم أضع علم الحداد من أجله

أو أرتدى ملابس القنب الخشنة المألوفة

لأنى كنت فى هذا الوقت أصيح بملء صوتى

مندفعًا داخل تيارات حرب التحرير

أمى أرسلت لى كى أعود للمنزل

أرادت أن أرعى عائلتى

لكنى بقسوة قلب أحبطت أمانيها

متأثراً بالإثارة التى تمنحها الحرب

أدرتُ ظهرى لقريتى

لأنى عرفت

أنه توجد مُثل عليا فى هذا العالم

أردت أن أكرس نفسى لها

لا تقف عند أسرتى الخاصة فقط

ولكن تمتد للملايين

إنه الإيمان السامى .

أغسطس ١٩٤١

قصيدة كُرِّست لقرية

أكرس قصيدتى لقرية صغيرة جداً فى الصين

تقع بعيداً فى حضن إحدى سلاسل الجبال

على حدودها تقف:

شجرة صنوبر عجوز تصدر صريراً مع الرياح

وشجرة قياقب أوراقها الحمراء تشبه أقدام البط

وشجرة زان طويلة بثمارها المتوجة

وشجرة جراد عجوز أحناها البرق

يتعانقون سويًا

ويلقون بظلالهم على القرية العريقة وسكانها البسطاء

أكرسها للبحيرة الصافية التى تسكن قريبًا من القرية

التى يحتضنها رتل كثيف من صفصاف أخضر متهدل

وعلى سطحها تطفو

زهور ياسنت ، وسنابل ، وزئبق الماء

تلك البحيرة صديقة السماء المخلصة

تعكس ضحكها وبكاءها

تتجمل السحب في مرآتها

يلوح لها ضوء الشمس ، وأشعة القمر ، والطيور فى طيرانها

ينبوع ماء النجوم ، و بركة سباحة الحيوانات

يشرئب منها جاموس الماء الضخم برأسه

ليراقب نساء القرية وهن يجلسن القرفصاء على حوافها الصخرية

ليغسلن ملابسهن وخضرواتهن

أكرسها لبساتينها الهادئة

المليئة بالخوخ والمشمش والبرقوق والرمان والتفاح البرى

التى يحجبها أسوار أو سياج من بامبو

وفوق هذه الأسوار أوالسياج يمتد اللبلاب والنباتات المتسلقة

ومصانع عسل النحل ، ومخازن النمل

وغرف تدريب الصراصير ، وورش نسيج العذارى

وشباك العناكب الماكرة القاسية الكامنة للفراش

أكرسها لآبار القرية

خزانات مائها

المبطنة بالطحالب الخضراء

ذات الجوانب السداسية المشيدة من الحجر الداكن

التى نالت من حافتها سحب المياه بفعل الزمن والحبال

أكرسها للممرات التى تربط حقولها

تلك الممرات الدائرية الضيقة من الأحجار المتهالكة

التى تؤدى إلى الجداول الصغيرة و سلاسل الجبال والبساتين

وقرية أخرى صغيرة

تتوارى خلف الغابة الكبيرة التى تعتلى الجبال

أكرسها لساقية صغيرة بالقرب من القرية

تجلب الماء من بعيد فى دورانها ليل نهار

لتصبه فى الحقول والبساتين و الآبار

و تزود أهل القرية بكل ما يحتاجونه للشرب

أكرسها لذلك الجسر الخشبى
الذى أصبح قشرة من بناءٍ
نتيجة للاستخدام عامًا تلو الآخر
دعاماته النحيلة تُرى بصعوبة خلال المياه
ورغم ذلك يناضل ليعبر سكان القرية فوق عموده الفقرى المحدب

أكرسها للساحة التى تتوسط القرية
موقع لعب الأطفال ، وموضع تصارعهم وهرولتهم
حيث البالغون يدرسون القمح وقرون البازلاء ، وينخلون الأرز ...
حيث ينشر الشعير ، وفول الصويا ، والحنطة
لتجف فى الشمس
وعلى أعواد الخيزران الطويلة
ترفرف الملابس مع الرياح
تنتظر أن تجف
وفى أمسيات الصيف ، تتسع لسكان القرية
يداعبون النسيم ويثرثرون ، ويتجادلون
وفى صباحات الشتاء ، تستقبلهم ليفكوا ملابسهم

ليحصلوا على نصيب من أشعة الشمس
وإذا اختيرت بقرة للذبح كانت موضع ذبحها

أكرسها للمنازل البسيطة
التى تكومت سويًا مثل بشر يرتعشون من البرد
تلك التى سودها سخام الحطب المتفحم ،
وكساها غبار الزمن
والتى يتصاعد منها صراخ نساء توبخ أطفالها

أكرسها للعوارض الخشبية
التى عُلِّق عليها زهور عباد الشمس وبذور اللفت
والفلفل الأحمر المجدول بالخيوط ، والخضروات المجففة الصفراء

أكرسها للنوافذ الدقيقة الصغيرة
التى تطل على الطريق المؤدى إلى خارج القرية

أكرسها لأكبر شيوخ القرية
لشَعْره وذقنه البيضاء

وأسنانه التى ولَّت

وأذنيه التى تدلت

ليديه المعرقة التى تتشبث بعكازه

لأولئك العائدين من السوق

يصيحون بصوت عالٍ ليخبرونه بالأسعار الحالية

أكرسها لأكبر امرأه عجوز فى القرية

لتلك التى تزوجتْ يومًا فيها

ولم تتركها أبداً

للتى لم ترَ يومًا قوارب مبحرة أو قطارات مغادرة

مات كل أطفالها وأحفادها

و رغم كل ذلك لازالت صامدة

أكرسها لمزارعيها المطحونين

بوجوههم المتجهمة مثل أشجار الصنوبر ،

وبشرتهم المجعدة مثل لحائه

وعيونهم التى أكلها المرض واليأس

أكرسها لزوجاتهم المخلصات
وبوجوههن التى سجنت فى الأنيميا
وبشرتهن التى صبغت بلون التربة
المشغولات طوال اليوم بتقشير الحبوب وطحن الأرز
وطهو الطعام والاعتناء بالخنازير
ورتق الأحذية
وتدكيك حلماتهن فى أفوه أطفالهن الرضع

أكرسها لرعاة الماشية
للعرائس الصغيرات اللاتى استيقظن من النوم
وفركن أعينهن بأيديهن القذرة
للفلاحين المستأجرين الذين لا يملكون أرضًا أو ثيرانًا
للأيدى الزراعية التى لاتملك شيئًـا سوى أجسادها وملابسها
للنجارين ، والحجارين ، والبنائين
للقصابين ، والحدادين ، والخياطين
لكل البشر الذين أنهكهم الفقر
للذين كدحوا لسنوات عديدة
ورغم ذلك لم يذوقوا ثمار كدحهم

قصيدتى أكرسها لكل سكان القرية من منكودى الطالع
لا يهم أين ذهبوا ، فذكراهم لن تغادرنا

أكرسها للبشر الذين عزلتهم الجبال عن العالم
صامتين صامدين
لقد كانوا ـ لفترة طويلة ـ يُخدعون ، يُهانون ، يُسخر منهم
والآن أوشكت الوجوه التى تغلى امتعاضًا أن تتحدث
يخفون فى ملابسهم نصالاً مدببة حادة
حُفِظت حتى الآن فى أغمادها
لكنها سوف تظهر يومًا للثأر

أكرس قصيدتى لقرية ولدتُ وترعرعتُ فيها
قرية صغيرة ، متناهية فى الصغر
بالكاد يمكن ملاحظتها
تشبه مليون قرية أخرى فى الصين
إنها تسكننى كأم تحيا فى قلب ابنها
بتناقض بيئتها الطبيعية الرائعة وحياتها التعسة

مازالت الطبيعة ، لم تعرف قسوة البشر

لِمَا هذا الظلم ؟

فالقرية يجب أن تكون متناغمة مع الطبيعة

لكن سوف يأتى زمن ينكشف فيه كل هذا الخداع والظلم ،

وسوف يستيقظ البشرمن نومهم .

٧ سبتمبر ١٩٤٢

ماوتسى تونج

أينما يظهر ماوتسى تونج(١)
يملأ الجوَّ تصفيق عاصف

قائد الشعب
ليس مصطلحًا أجوف للإطراء
فقد فاز بثقة الناس بإعطائهم حبه

مدَّ جذوره عبر أرض الصين الواسعة العريقة
يحمل فوق كاهله التاريخ للتأريخ

(١) كتب الشاعر هذا القصيدة بعد أن التقى لأول مرة مع الزعيم الصينى ماوتسى تونج فى اجتماع دعا إليه الأخير فى منطقة الحدود لثلاث مناطق كبرى هى شاآنشى، وقانصو، ونيانغشيا ، لإقامة جبهة ثقافية تؤازر الجبهة العسكرية فى حروب الصين ضد الإستعمار والإمبريالية . " المراجع "

يمتد القلق عبر وجهه دئمًا
تعكس عيناه بؤس الناس

سياسى .. شاعر
قائد عسكرى .. ثورى
يحول الأفكار إلى أفعال

يتأمل دائمًا ، يلخص دومًا
تلقى إحدى يديه الأعداء جانبًا
وتستقبل الأخرى الأصدقاء

التركيز هو سياسته الواضحة
يصبُّ أعظم قوة على أكبر عدو

الشعار الجديد يحدد التوجه الجديد
" تكريس كل شىء لسحق الفاشية " .

خلال اجتماع برلمان ممثلي أقاليم الحدود فى شاآنشى ، وقانصو، ونيانغشيا
٦ نوفمبر ١٩٤١

كلمات من الشمس

افتحوا نوافذكم
افتحوا أبوابكم الخشبية
دعونى أدخل .. دعونى أدخل
أدخل بيوتكم الصغيرة

أحضرت زهورًا صفراء ذهبية
أحضرت شذا الغابات
أحضرت التألق والدفء
أحضرت الندى

عجلوا ، استيقظوا ، استيقظوا
ارفعوا رؤوسكم عن وسائدها
افتحوا العيون التى غُطِّت بأهداب ثقيلة على اتساعها
دعوا عيونكم تشهد وصولى

افتحوا قلوبكم مثل الغرف الخشبية الصغيرة

افتحوا نوافذها التى أغلقت لفترة طويلة

دعونى أملأ فضاء قلوبكم

بالزهور ، والعبير ، والضوء ، والدفء، والندى .

١٤ يناير ١٩٤٢

نار متأججة

بددى ظلام هذه الليالى السوداء

من فوق تلك القمم الجبلية الشامخة

مدِّى ألسنة لهبك

عانقى قلب الليل الفسيح

عانقى قلبه الأزرق الداكن ،

البارد كالثلج

من أطراف لهيبك المتأجج

دعى شرارك يتطاير خارجًا

دعيه ينحدر مثل فيضٍ من الأرواح

إلى الهاوية المظلمة الباردة

دعيه يومض للأرواح التى نامت هناك

دعيه حتى لو اقتصر الأمر على الأحلام الضبابية

ارقصى ـ مرة أخرى ـ رقصة البهجة

بددى ظلام هذه الليالى السوداء

دعى اللهب يتطاير أعلى وأعلى

دعى إيحاءاتك المبهجة

تنتقل من الأرض إلى السماء

ألهمى هذا العالم المرهق

برقصة من نيرانك النشطة

ارتفعى لأعلى وحلقى

دعى آلاف الأعين فى هذه الليلة المظلمة

تتطلع إليك

دعى القلوب فى هذه الليلة المظلمة

تستجمع شجاعتها من دعوتك للانتفاض

آه ، من لهبك المبتهج

آه ، من لهبك المرتجف

أصغى فمن أحد الأركان البعيدة

تتدفق مثل الشلالات

تلك الأغانى التى تترنم بمديحك .

شمالى شاآنشى

عام ١٩٤٢

إعلان الفجر

هذا هو رجائى

أيها الشاعر ،

من فضلك انهض

خَبِّر الآخرين

أن ما ينتظرونه قادم

خَبِّرهم أنى

وطأت الندى كى أحضر هنا

متتبعًا وميض آخر نجمه

أتيت من الشرق

من بحر الأمواج المتلاطمة

سوف أجلب الضياء للعالم

سوف أحضر الدفء للجنس البشرى

بكلماتك الأمينة

انشر ـ من الآن ـ أخبارى

سوف أظهر للبشر الذين حرق الشوق أعينهم

والمدن البعيدة، والقرى التى اكتضت باليأس

اطلب منهم أن يأتوا ليرحبوا بى

رسول الضياء ، سفير اليوم

أن يفتحوا كل النوافذ ليلوحوا لى

أن يفتحوا كل الأبواب ليرحبوا بى

رحبوا بى من فضلكم بالصفارات البخارية

رحبوا بى من فضلكم بنفخ الأبواق

اطلب من منظفي الشوارع أن يجعلوها نظيفة
اطلب من عربات القمامة أن تزيل القمامة

دع العمال يقطعون الشوارع بخطوات واسعة
دع سلاسل السيارات تنساب بوميضها عبر الميادين الواسعة

خَبِّر القرى أن تصحوا من الضباب الرطب
خبرها أن تفتح سياج بواباتها بترحاب

اطلب من القرويات أن يفتحن أقفاص دجاجهن
اطلب من الفلاحين أن يقودوا ثيرانهم خارج حظائرها

أخبرهم بكلماتك الحنونة
أننى قد عبرت الجبال والغابات

أخبرهم أن يكنسوا ساحاتهم الجافة
وينظفوا ساحات منازلهم القذرة دائمًا

أن يفتحوا نوافذهم ويزينوها بأوراق الزهور

أن يفتحوا أبوابهم ويجملوها بالأمانى الجميلة

من فضلك أيقظ النساء اللطيفات

والشباب الذين يغطُّون فى النوم

أيقظ العشاق

والفتيات المتيمات بالنوم

من فضلك أيقظ الأمهات المنهكات

والأطفال الرضع أيضًا

من فضلك أيقظ كلَّ فرد

حتى المرضى والأمهات اللاتى لازلن فى النفاس

كل ضعيف وعجوز

حتى أولئك الذين يئنون فى أسرَّتهم

من فضلك أيقظ الجرحى ،
الذين ناضلوا من أجل حقوقنا الوطنية
وأولئك اللاجئين المشردين الذين دُمرت منازلهم

من فضلك أيقظ كل تعساء الحظ
لأنى قادر أن أريحهم أيضًا

من فضلك أيقظ الذين يحبون الحياة
العمال ،والمهندسين ، والرسامين

يامغنين تعالوا رحبوا بى
بأغانٍ مثل عزوبة الندى الذى ينساب فوق العشب

ياراقصين تعالوا رحبوا بى
برقصاتٍ ذات أردية صباحية فى بهاء الضباب الأبيض

من فضلك أيقظ الأصحاء والجميلات
لأنى قادم تواً لأطرق نوافذهم

وأنت أيها الشاعر المخلص للزمن ،

من فضلك أحضر للبشر رسائل تعزيتك

أخبرهم أن يستعدوا للترحيب بى

لأنى سوف أصل مع آخر صياحٍ للديكة

أخبرهم أن يتطلعوا فى الأفق بأعينهم المخلصة

لأنى سوف أسطع فوق الذين ينتظرونى بأكثر الأضواء رقة

أسرع .. قبل أن ينتهى الليل .. أخبرهم

أن ما ينتظرونه .. قادم .

جرف صخرى

موجة تلو الأخرى
اعتداءتها قاسية لا تلين
كل موجة تسقط عند أقدامه
تتحطم لتصبح زبد البحر ،
تختفى

وجه الجرف الصخرى وبنيته
بها شقوق كما لو كان شُرط بسكين
لكنه مايزال يقف هناك
يحدق فى البحر بابتسامة باهتة .

٢٥ يوليو ١٩٥٤

فى هذا الجانب من العالم

فى هذا الجانب من العالــم

الناس يعانقوننا بحميميــة

حتى إننا لانستطيع التنفس

يقبلون وجوهنا بحماس

لا لأننا صغــار

أو لأننا جذابون

بل لأننا جئنا من الوطن

الوطن الذى وُلِد فى دمائنـــا

لا لأنه لقاء لأصدقاء قُدامى فى مكان جديد

أو لأن الكثيرين منا لم يلتقوا به من قبل

بل لأنه نوع من الولاء السامى

فكل منا للآخر كالعشاق الذين انفصلوا منذ أمد بعيد

الصينيون مُرحَّبٌ بهم فى أى مكان

مثابرتنا وشجاعتنا معروفة للعالم

ستمائة مليون نسمة يتحركون تحت راية واحدة

وفوق هذه الراية كُتِبت كلمة واحدة

السـلام .

سانتيجو يوليو ١٩٥٤

الزُّهرة نجمةُ الصباح[1]

أهدى إليك هذه اللحظة
عندما يُبدِّل النور الظلمة
عندما يتساقط الليل الأسود
ويتبعه النهار المتألق مستيقظًـا

تقاعدت كل النجوم
لكنك لازلت تقفين هناك
تنتظرين شروق الشمس

تُضائين بأشعة الصباح الأولى
إلى أن تغمرى فى رتل الضيـــاء
حتى لا نستطيع أن نراك .

أغسطس ١٩٥٦

(١) آخر النجوم التى تظل صامدة فى السماء قبل شروق الشمس . " المحرر "

نبــع

ــ ١ ــ

أغانى الجبال تنشدها

من كل صوب وحدب

معروف اسمك

أصغوا لأغانيه

إنها أكثر وضوحًا من الربيع

ــ ٢ ــ

الجبال هنا عالية

والماء يأتى من العمق

ينبثق

فيداعب حنجرتك المنشدة

العامة لا يألفون هذا الطريق

فلا أحد يملك الصبر

ليتسلق هذه القمة العالية

يحطُّ هنا فقط

نوعان من الطيور

الكروان المغولى نهاراً

والعندليب ليلاً .

أغسطس ١٩٥٦

فى الصباح عندما يسقط الثلج

الثلج يسقط دون صوت

الثلج يسقط دون توقف

ثلج أبيض ناصع[1]

يغطى ساحات الدور تمامًا

ثلج أبيض ناصع

يكسو قمم أسطحها

كم هو مسالم ذلك العالم !

بينما أراقب الرذاذ الثلجى ينهمر

أفكارى تأسرنى بعيداً

صوب غابات الصيف

(١) يرمز اللون الأبيض للموت لدى الصينيين . " المترجمان "

أفكر فى هذه الغابات الكثيفة فجراً

فى الندى الذى يكسو كل شىء

فى الشمس عندما تستيقظ

فى صبى حافى القدمين

يسير خارجًا فى وهج الصباح

وجهه نضر مثل زهرة

تفيض من شفتيه أعذب الأغانى

فى كفه الدقيق عصا من خيزران

يرفع رأسه الصغير

وبعينين كلها بريق

يحدق فى الخضرة الكثيفة

يفتش عن صوت حشرة القيظ[١]

و يده الصغيرة الأخرى

تمسك خيطًا

رُبط فيه ذيل ثعلب طويل

(١) حشرة تكثر أثناء موسم الحصاد، وهى تصدر أصواتًا عالية . " المترجمان "

يداعب به الخنافس ، والجنادب ، واليعسوب

كل هذه الذكريات

تتداعى بوضوح

لم نعد لتلك الغابات منذ أمد طويل

حيث كست الأوراق كلَّ شىء

حيث لا يوجد أثر لروح وحيدة

لكننى سأظل دائمًا أفكر فى هذا الصبى

وأغانيه التى رددها

قد يكون الآن فى إحدى الغرف،

أو فى أى مكان آخر

يشاهد رذاذ الثلج المتساقط بلا نهاية

ربما فكر أن يلهو بإحدى الكرات الثلجية فى الغابة

أو يتزحلق فوق سطح البحيرة الجليدى

لكنه ـ بكل تأكيد ـ لايعرف

أن شخصًا ما يتوق لرؤياه

فى هذا الصباح عندما يسقط الثلج .

٢٧ نوفمبر ١٩٥٦

هضبة[1]

النهارهنـا

حـار جداً

لمـاذا ؟

لأن الوطن عالٍ جداً

قريب من الشمـس

المساء هنا

بـارد جداً

لمـاذا ؟

(١) يشير الشاعر إلى هضبة الصين . " المترجمان "

لأن الوطن عالٍ جداً

قريب من القمـر

لماذا يصبح حاراً جداً قربُ الشمس ؟

لماذا يصبح بارداً جداً قربُ القمـــر؟

لأن الشمس نار ،

والقمر ثلج .

عام ١٩٥٦

قصيدة مُهداة إلى أولنوفا[1]

" نظمها الشاعر بعد مشاهدتها فى باليه سيريناد"

ناعمة ووديعة مثل السحب
خفيفة مثل الريح
أكثر روعةً من القمر
أكثر هدوءاً من الليل
طيف ينساب عبر الهواء

إنها ليست حورية من السماء
لكنها ملاك من الأرض

لأنها أكثر جمالاً من الحلم
فهى تأسر النفوس أكثر من الرؤى
ببلورية حركتها الرائعة.

(١) إحدى راقصات البالية . " المترجمان "

شمسية

فى الصباح أسأل الشمسية

" هل تفضلين أن تُحملى فى الشمس

أم تُبللى بالمطر ؟"

تبتسم الشمسية وتجيب

ليس هذا ما يقلقنى

أثابر فى سؤالى

إذاً ماذا يقلقك ؟

الشمسية تجيب

ما يقلقنى هو

" يجب ألا أجعل ملابس البشر تبتل فى المطر ،
وأن أكون لهم بمثابة سحابة تظلل رؤوسهم فى الشمس " .

١٩٧٨

سمكة متحجرة

بكل هذه الخفة فى حركتك
وقدرتك على الطفو
كم قفزت فى الأمواج
وسبحت فى البحـــــر

لكن لسوء حظـــك
انفجار بركـــــانى
أو ربما زلـــــزال
كلفك حريتـــــــك
ودفنت فى أعماق الأرض

وبعد ملايين السنيـــــن
أعضاء فريق جيولوجى

وجدك فى طبقة صخرية
تبدين كما لو كنت حيــة !

لكنك صامتـــة
دون حتى تنهد
أبعادك وزعانفك كامـــــلة
لكنك لا تستطعين تحريكها

ولأنـــــك بلا حركــــــــــــــة
فليس لديك أى رد فعل تجاه العالم
لا تستطعين أن ترى الماء أو السماء
لاتستطعين أن تسمعى صوت الأمواج

التأمل فى ذلك الأثر الحجرى
يُعلِّم الكثير حتى الحمقــــــى
فبدون حركـة
لاتوجد حيـــاة

أن تحيا هو أن تناضل

أن تتقدم فى نضالك

حتى وإن كان الموت على أعتاب ديارك

يجب أن تستخدم طاقتك للنهاية .

المـــــــــرآة

قد نحسبها سطحًا أملس

فحتى الآن يبدو أنه لم يسبر غورها

إنها تعشق الحقيقـــــة

لا تخفى العيوب مطلقًـا

صادقة مع كل من يسألها

أي فرد يستطيع أن يكتشف نفسه فيها

سواء كان في تورد النبيذ

أو يتوج رأسه شعر أبيض كالثلج

البعض يحبونها

لأنهم وسيمون

والبعض يتحاشونها
لأنها صريحة جداً

هناك أيضًـــــــا
من يكرهونها ،
ويرغبون فى تحطيمها .

١٩٧٨

إلـى روح دانوسـكـا .. صـديـقـى

" أضع هذه القصيدة فوق الجرة الجنائزية رقم ٣٨ فى القطاع التاسع بمقبرة أولسانى ببراغ ، جرة صديقى دانوسكا هيرولدوفا ستوفيسكوفا "

فى هذه اللحظات المضطربة
الصداقة مثل غصن جاف فى يوم مظلم
يرتعش فى الرياح
بتنهدات لاتُدرك

كم هو واسع ذلك الفضاء
كم هو سرمدى ذلك الزمن
عندما أتصفح ألبوم ذكرياتى
تبدو الكلمات كما لو كادت أن تُمحى

أول مرة هبطت فيها من الطائـــرة
نظــرت إلى الحشــود
بحثًا عن رجل عرف بكتابته للشعر
لكنه لم يكن هنـــــــــاك ليستقبــلك

أمضيت فى الصين ثلاثة أعـــوام
خلال الربيع المزهر ،
والخريف المقمـــــر ،
والرياح الدافئـــة
والشمس الساطعة
أتيت بحــب لهذا البلد
وشعبها العريق البسيط

فى خريف عام ١٩٥٧
أتممت عقدك وتركت بكين
مرة أخرى بين أولئك الذين ودعوك
كان الغائب أيضًا
ذلك الرجل الذى عرف بكتابته للشعر

فى السهول الواسعة المهجورة
تسلمت بطاقة بريدية من براغ
ترددت لبعض الوقت ، وبعدها لم أكتب
شككت أن تصلك زهور الياسمين (١)

مرت عشر سنوات كاملة
ثم ضرب زلزال ضفاف نهر فلتافا
كنتَ أول من فكرتُ فيـــــه
تساءلتُ عن مصير شخص بمثل استقامتك

رأيتنى فى مكتبتك
على النحو الذى رأيتنى به فى مكتبات الصينيين
ماذا آل إليه مشروع ترجماتك
ماذا عن الأعمال الكاملة للأديب لوشيون ؟ (٢)

(١) زهرة الياسمين من الزهور المقدسة لدى الصينيين ؛ حيث ترمز للبراءة والطهر والنقاء (أو الصورة المثلى والمجردة للمشاعر) ." المترجمان " .

(٢) لوشيون (١٨٨١ ـ ١٩٣٦) مؤسس الأدب الحديث فى الصين . " المراجع "

الوقت مرَّ بمحنٍ لا يمكن تخيلها
الهواء أصبح ملوثًا برائحة الدم الكريهة

واحد وعشرون عامًا مرت بلا أخبار
اليوم بعد أن مزق الشتاء ثلاثة أسابيع كاملة
فجأة البرد القارس كأنه يريد أن يخبرنا
وا حسرتاه ، دانوسكا ، لم يعد معنا

قُتلتَ في حادثة سيـــــارة
في ٣٠ أكتـــــوبر ١٩٧٦
عندما سمعت هذا الخبـــر
كان قد مرَّ عامان كامــلان

ظننت أني قد رأيت شتلة صنوبر خضراء
اقتلعتها الرياح بقسوة
ظننت أني رأيت جسراً
غمره سيــــل جبلي

كم أحببتَ الصين

أتيتَ لكى تراها كوطنك

دافعتَ عنها فى ساعاتها المظلمة

قاومتَ الضغوط لكى تذمهـــــــــا

لكن سلب منك الموت الأمل فى رؤيتها ثانية

اختطف أمل رؤية أصدقائك الصينيين ثانية

بعد واحد وعشرين عامًا

أنا ، أخيراً ، عدت للكرامة

كم كنت ستسعد بهذه الأخبار

أنت يا من لم تتوقف عن سخطك على عهدى

وا حسرتاه ، ذهبتَ بالفعل إلى رحلتك الأبدية

لن تسمع أغانى ثانية

يامن كنتَ تأنس لها

تلك الأغانى التى أتلفها الحزن حتى فى لحظات المرح

الآن فوق منضدتى

لازالت منفضة السجائر التى أعطيتنى إياها

تلمع وتبرق كما كانت من قبل

يبدو أنها لا تعرف أى شىء

صداقة مثل صداقتنا ،

فى هذا الزمن

ثمينة جداً ؛

لذا من العسير أن نخطط لتحقيقها

مثل صورة أُنقذت من حريقٍ

مثل قطعةٍ من خزفٍ التقطت بعد زلزال

مثل سارية سفينة غارقة

بابتسامة شاحبة مريرة

بعد كل ما حدث

أجد أنه لا توجد طريقة لأُكمل بها هذه القصيدة المليئة بالندم .

البقية عزيزى دانوسكا ...!!

يناير ١٩٧٩

لنرحب بالربيع الخلاب

ـ ١ ـ

أتساءل إن كنت قد سمعت
فى الليالى الأخيرة عند ضفتى النهر
يأتى ـ خطوة تلو الأخرى ـ صوت تصدع
آه ، ثلج النهر يذوب بسرعـــــــــة
المياه تتدفق بنعومة دون مقاومـــة
كتل الثلج الضخمة تصطدم سويًا ، يدفع كل منها الآخر
كحشود الجماهير فى اصطفافها أمام أحد المسارح
تتدافع مبتهجة فى تقدمهـــــا

الربيع الذى انتظرناه طويلاً جاء أخيراً
الفصل الذى يمنح الميلاد لملايين الأشياء
فصل البذر والإنبات

من منا لايستطيع أن يحب الربيع ؟
حتى لو تلا زوبان الجليد والثلوج
أن تصبح الطرق موحلة
حتى ولو كان يجب علينا أن نخوض فى مستنقعات

يجب أن نذهب لنحييه
لأنه أحضر لكل منا
الدفء والأمل .

ـ ٢ ـ

كان لدينا الربيع عندما خُدِعنا
كان لدينا الربيع عندما عُوقِبنا
كان لدينا الربيع عندما سُجِنا
كان لدينا الربيع عندما اعتصرتنا الدموع الصامتة

اعتدنا أن نكون مثل الحلزونات [١]
نتسلق ببطء قواعد الجدران

(١) حيوان رخوى يحيا داخل قوقعة " المترجمان " .

اعتدنا أن نكون مثل نُسَّاك الداى لاما [(١)]

نحيا على الأسماك الخشبية ، وقراءة النجوم لتمضية الوقت

بينما كان العالم فى الخارج

يُعِدُّ فرقه العسكرية ،

وفيالقه التى بالآلاف والملايين

لتتدفق بسرعة كبيرة فوق طرقنا السريعة

وطائراته الميج ٢٥ المقاتلة

تستعد لضربنا فى أية لحظة

عبر سمائنا الزرقاء المقدسة

وفى النهاية واجهنا الاختيار المستحيل

لننال خبرة الصراع والنضال

صحونا أخيراً

اجتزنا كل طبقات الثلوج

والآن نرحب بعصرٍ من التقدم المدوى

---

(١) الداى لاما : زعيم بوذى وبطل قومى فى منطقة التبت طالب بانفصال التبت عن الصين والحصول على استقلالها ، ولذا فر إلى الهند فى عام ١٩٥٩ ، وشكل حكومة فى المنفى لتحقيق اهدافه السياسية . " المراجع "

ـ ٣ ـ

نستطيع أن نحيا حياتنا فى عدل

نستطيع أن نمضى أيامنا فى سعادة وكبرياء

لدينا إيمان وعزم سامٍ

ومثل القازاخستانيين الذين يبدءون رقصاتهم بمغازلة الإغراء

سوف نرحب بهذا الربيع

إنه حقًا هنا

نستطيع أن نتنسم شذاه

نستطيع أن نشعر بدفئه

الطيور تغرد فوقنـــــــــا

الظباء تثب فى الغابات

نريد أن نجعل كَّل جِنِّـيَّـةِ بحرٍ تشدو

لكى ترحب بفجر هذا العصر الجديد

نريد أن نطلق إحدى وعشرين طلقة تحيةً

لكى ترحب ببداية هذا العام

يا موسيقيون احشدوا آلاتِكم

يا شعراء أبدعوا أبياتكم

يا كُلَّ الآلات الموسيقية ، والألحان ، والأشعار

فلتمتزجوا فى حركة سيمفونية عملاقة

لنرحب بالربيع الخلاّب

القمة الهائجة (1)

نهدى هذه القصيدة لهان جى شيونغ ورفقاء جيله الشباب

١ ــ أنا البطل هان جى شيونغ

دعنى أقدمك للآخرين

"هــــذا بطل"

(١) تشير هذه القصيدة إلى مرحلة مرت بالصين أطلق عليها فترة " الثورة الثقافية " ، والتى امتدت من عام ١٩٦٦ حتى عام ١٩٧٦، وقد أصبح يطلق على هذه المرحلة الآن " فترة الفوضى العارمة " أو " فترة الكارثة الكبرى " ، والثورة الثقافية هى فى جوهرها حركة معادية للتحديث ، وإن عبرت عن ذلك بصورة مفرطة فى التطرف ؛ حيث أنكرت دور العلوم والتكنولوچيا فى بناء الصين وتطورها ، وروجت للرأى القائل بأنه " كلما زادت المعرفة تصبح أكثر رجعية " وإشاعة عبادة الأفراد والعودة لكثير من طقوس الخرافات والخزعبلات ، بالإضافة لمعاداة كل ماهو أجنبى ، وشجعت سياسة الانغلاق الثقافى وعزل الصين عن العالم ، ولتحقيق ذلك قامت بتحطيم الأساس التعليمى الحديث فى الصين ، ونتيجة لاستمرارها عشر سنوات أدت إلى تخلف الصين جيلاً كاملاً . وقد كان المثقفون أكثر الذين تعرضوا للهجوم أثناء هذه الفترة ، حيث نفوا وعزلوا، ولوثت سمعتهم ووطئت بالأقدام ، واعتبر من تربطه منهم صلات بالدول الأجنبية خونة . " المترجمان "

تضحك وتحتج

لست بطلاً أنا فقط "هان جى شيونغ "[(١)]

من ينشد معنى البطولة قد يبدو محرجًا

البشر سعوا إليك بأكثر التحيات مجداً

ومازلت لاتستطيع الصمت دون حرج

معتبر أن كونك بطل "تيان آنمين "[(٢)] مصادفة

عندما كشفت الذئاب عن أنيابها وومضت مخالبها

تجاسرت فى الحال أن ترتفع وتنتف شواربها

كنت شجاعًا فى القتال

بالقدر الكافى لأن تدعم كبرياء جيل

(١) هناك تورية فى اسم " هان جى شيونغ " لا تستطيع الترجمة أن تحققها؛ فالاسم معناه بالصينية " سوف أكون بطلاً" . " المحرر "

(٢) اسم ميدان يتوسط قلب العاصمة الصينية بكين ، ويعد أكبر ميدان فى العالم ؛ حيث تبلغ مساحته زهاء ٤٥,٥ هيكتار . " المراجع"

كنت صافى الذهن

مثل جزيرة صامدة أمام الرياح والأمواج

تحت قبة السماء الزرقاء

تشاهد بصمت عشرات الآلاف من التحيات .

٢ ـ أى نمط من القتال هذا ؟

إنه يكاد أن لا يكون قتالاً على الإطلاق

حيث يلوح الكل بالسكاكين والبنادق

مدعين أنهم قادرون على سبر غور الحقيقية [(١)]

منزلين عقوبة الموت بالملايين

أفهمُ ثم بعدها أُعدم

أنت لاتفهم ، إنك يجب أن تظل تُعدم

مائة بالمائة أكاذيب

غش يطلق خارجًا

(١) تعبير أطلقه لين بياو LIN BIAO ، واتخذه ذريعة لكثير من الاعتداءات والاغتصابات . " المحرر"

أكثر أنماط الظلم قسوةً

أكثر الاحتكارات وضاعةً

أكثر الأقوال سخفًـــا

أكثر الاغتيالات غدراً

قال بعضهم : هاجم بالثقافة ، دافع بالأسلحة [1]

وقال آخرون : أشعل النيران ، تحترق البرارى

وصاح آخر :" يسقط القانون والأوامر "

وألح ثالث : " اهجم ، اسلب ، انهب "

يعلنون " نهاية حقوق البرجوازيين "

يصادرون الممتلكات،

ينهبون بيوت الشعب

خلف الشاشة الضبابية التى تعاود السقوط

يحملون قلوبهم المشوشة

(١) شعار أطلقته عصابة الأربعة ، وأصبح بعد ذلك مبرراً لكثير من الأقوال والانتهاكات . " المحرر "

خنقوا المبررات بالغريزة

الوقاحة خدعت الشعب

شاهد باطل يقسم زوراً

الدهاء يستعرض مرونة عضلاته أمام الاستقامة

القلوب الوحشية تلهث فى ظلام الليل

الشهوة للحم تنمو سويًا مع القوة

المصلحة الشخصية والوهم يتنافسان

الضمير يُطرح للمزاد

الضوء أصبح مخادعًا

الشرف تحول إلى دولارات

الإشاعات تعدو مستعرة

بينما تحتل الحقيقة الدرجة الثالثة

هل الإبادة هى الوسيلة ؟

هل الإبادة هى النهاية ؟

كما لو أن شخصًا ما يلهو بالألاعيب
شخص ما يشيد بها مهرجانًا

ضد لين بياو ، ضد كونفوشيوس ، ضد رئيس الوزراء شوان لاى
يسقط اليمين المنحرف عن قررات التصحيح
أيًا من كانت لديه السلطة يجب أن يسقط
مهرجون حقراء يظهرون قوة خارقة للطبيعة

العدل قُيِّد وعُرِض أمام العامة
الصدق عُرِضَ معصوب الأعين
حتى القائد الأعلى غير مستثنٍ من الاتهامات الملفقة
ورئيس الوزراء يُتهم باطلاً بعد أن ماتِ بالفعل ،

من عمر العاشرة حتى العشرين
عشر سنوات من الثورة الثقافية
دفعت هان جى شيونغ
جرف بواسطة الأمواج والرياح العظيمة
إلى أن جاء عام ١٩٧٦ .

٣ ـ يـوم المأسـاة

نبراسى رئيس الوزراء شوان لاى
عرضت الرحيل
ولكن الأعداء لم يتوقعوا
أن يثير رحيلك كل هذا الأسى

العالم لم يرَ رجلاً مثلك
تلقى هذا الكم من الأشعار
لم يعرف التاريخ رجلاً
تلقى هذا العدد من أكاليل الزهور

جبل من الزهور ، محيط من الزهور
محيط من الأشعار ، محيط من الدموع
فيض واسع لا حدود له
تدفق هائج من حزن البشر

كم عدد المكائد الغادرة !
كم عدد الإشاعات والافتراءات !
كم عدد الشعارات المرفوعة !

كم عدد الشهود الكاذبين !
لم يستطع أى منها أن يدنس صورتك

فأنت جبل شامخ ، مصمت
وجده الأعداء صعبًا أن يُقهر
علياؤه تكشف وطأتهم
تألقه ينفذ عبر قلوبهم

الأعداء لم يسمحوا للشعب أن يرتدى ملابس الحداد
حَرَّموا عليهم أن يرسلوا أكاليل الزهور
حطَّموا زهور اللوتس
وطأوا الأركيد النبيل
ورغم كل ذلك لا يزال الجبل بعيداً
الأشجار أمام نوافذهم
تبوح بالربيع الجلى على جانبى الطرق
كلها تذكر الشعب برئيس الوزراء شوان لاى
رئيس الوزراء شوان لاى مثل الهواء
مثل ضوء الشمس ، مثل الماء

إنه كما لوكان فى كل مكان

ولايوجد أى منا بعيداً عنه

رئيس الوزراء حق للجميع

الهواء حق للجميع

ضوء الشمس حق للجميع

الوطن حق للجميع .

٤ ــ مهرجان تشينغ مينغ [١]

لن يكون هناك مهرجان تشينغ مينغ ثانيةً

مثل مهرجان تشينغ مينغ عام ١٩٧٦ بدموعه الغزيرة

(١) مهرجان " الصفاء والنقاء " أو " عيد الموتى "لدى الصينيين ، وهو مهرجان مقدس يعود لعصر الإمبراطور " جين ون قونغ " الذى اعتلى عرش الصين عام ٢٦٠٠ ق .م ، ويقال إن هذا الإمبراطور قد منح كل معاونيه الذين صمدوا معه للحفاظ على العرش مناصب رفيعة، فقبلوها جميعًا باستثناء " جيه تسى توى " ، وهو الشخص الذى أنقذ الإمبراطور من الموت ، وأمام إلحاح الإمبراطور عليه بقبول المنصب اضطر " جيه تسى توى " إلى الهروب للجبـــال فأمر " جين ون قونغ " بإضرام النيران فى الجبال حتى يجبره على الخروج ، لكن جيه تسى توى رفض الخروج ، وفضل الموت محترقًا على أن يقبل منصبًا ثمنًا لولائه ، وتقديراً من الصينيين لهذه القيمة صاروا يمتنعون عن إيقاد النيران فى ذكراه ، ويأكلون طعامهم بارداً، ومع مرور الوقت أصبح من مراسم الاحتفال أيضًا تقديم القرابين وزيارة قبور الأسلاف خاصة الشهداء منهم ، ومن الطقوس أيضًا كنس سطح القبور وتزيينها . " المترجمان "

فلم يكن أحد أكثر منه نكرانًا للذات
ولم يكن ولاء الشعب له يقلُّ رسوخًا

هان زمن في مواجهة تيان أنمين
أصغيت للأشعار يومًا بعد الآخر
انتابك الأسى ؛ فالدموع لاتكف عن التدفق
شعرت بالغضب يحرق دموعك الجافة

مليون قصيدة
مليون مصباح يد
أحدهم يضيء فيتلوه الآخر
يتألقون في إحدى ليالي الربيع الأولى

لحماية الحقيقة
يجب أن ينظم أحدهم المعركة
لتصبح الأفكار راياتٍ
والكلمات رصاصًا

الأشعار التى كتبها هان جى شيونغ

تكسو الجانب الشرقى للنصب التذكارى للأبطال

مثل سطوع الأضواء الكاشفة

مثل وميض سيف بارق

التاريخ لديه لوحاته التذكارية الخاصة

ولديه مشانق خاصة للأوغاد

فالتاريخ قاضٍ

يأخذ أبناء الشعب الأوفياء

ويمنحهم احترامه وأنواطه التذكارية

ليظلوا إلى الأبد فى الذاكرة

ويأخذ أبناء الشعب الأشرار

ويسحقهم فوق مشانقه ، يعدمهم فى غضب

....

....

كيف للتاريخ أن يسامح هؤلاء الخونة ؟!

الشعب نتف ريش الطواويس من فوق هؤلاء الغربان السود

مذّق أرديتهم الخارجية

أمام نُصب الأبطال

وسط الشعب الصارخ

صدر الحكم ضدهم دون رحمة

على حثالة الشعب الصينى

نُصب الأبطال التاريخى إرث أبدى

يمتد من هذه الأرض إلى السماء

يعلن فى شجاعة ، وبصوتٍ جهير

" إذا حاول الشيطان أن ينفث دخانه البغيض

عندها سوف يعتقل الشعب الأشرار

ويكمن لقوانين الشيطان "

....

....

وعندما يُظهر ألواحه

سوف تستيقظ جماهير لا تُحصى لتطرد الأوغاد

انظر ! أشعار هان جى شيونغ

تشق السماوات مثل صوت الرعد

٥ ـ " أفضل أن أتعفن فى السجن ألف عام"

اعتقل هذا العامل الصغير

أمام أحد المنشورات السياسية

قبل يومين من مهرجان تشينغ مينغ

فى الثانية عشرة تمامًا ..

أُلقى فى الحبس

وفى الحال جُرِّد عاريًا من ملابسه

لُكِمَ ورُكِلَ مراراً وتكراراً

وجُلِد قبلها على وجهه وصدره

هؤلاء الذين استجوبوه ، هل كانوا مواطنين ؟

كبَّلوه فى سريَّةٍ تامة ليجعلوه يعترف

لماذا كان يبكى رئيس الوزراء شوان لاى ؟

لماذا كان يساند دينغ شياو بينغ [1] ؟

كان هناك ما يسمى بالنوع الثانى من القانون

ثوار حُولواً إلى أعداء للثورة

وطنيون حُوِّلوا إلى مجرمين

كى يفوز البعض برضاء السلطة

أى نوع من اللغات يتحدثونها ؟

هذا المكتب واصٍ على القانون والنظام !

حيث يُسحق أعداء الثورة

كيف يستطيع المرء أن يعلن أمانيه ؟

" لا تقل كلامًا بلا معنى"

(١) دينغ شياو بينغ (١٩٠٤ ـ ١٩٩٧) : زعيم ثورى وإصلاحى فى الصين والأب الروحى للنهضة الحديثة فى الصين حاليًا ، وتتلخص فلسفته الإصلاحية فى أنه " ليس المهم لون القطة أبيض أو أسود ... مادامت تصطاد فأرًا فهى قطة جيدة . " المراجع

هان جى شيونغ يجيب ، اثبت، اصمد
أفضل أن أتعفن فى السجن ألف عام
بدا كما لوأنه قد هوى فى العصور الوسطى
وينتظر محاكمة من محاكم الهراطقة .

٦ ــ حادث تيان أنمين

مات رئيس وزراء الشعب
لماذا لم يسمحوا بأن يندبوه ؟
لماذا مذقوا القصائد التى تنعيه ؟
لماذا أزيلت كل أكاليل الزهور ؟

لماذا قذفت ملابسه خارجًا ؟
ألكى تحرك الجماهير .. ؟!
من الذى أرسل خدمه لكى تعوى بالشعارات المعادية للثورة ؟
غضب الجماهير لم يقو أحد أن يُحوله

من هم الذين ينكمشون مرتعدين فى أحد الأركان المظلمة ؟
ينفقون طاقاتهم ، يحيكون رواية " حادثة تيان أنمين "

يجلدون صبيًا فى الرابعة عشرة

حاولوا أن يجبروه على الاعتراف بحرائق لم يرتكبها

ومن قرر أن يستخدم حريق Reichstag [(١)]

فى ميدان تيان أنمين ؟

ومن الذين أخمدوا ثورة الجماهير

بحادثة أخرى

حادثة تيان أنمين

حلبة صراع الضوء ضد الظلام

الديمقراطية ضد الديكتاتورية

حيث تلاقت الثورة مع أعدائها

حادثة تيان أنمين

كانت صاعقة من الضوء ومضت بين السحب المظلمة

أضاءت الوجه الحقيقى للثورة

(١) حريق REICHSTAG حدث فى مقر الحكومة فى ألمانيا عام ١٩٣٣ ، وقد نسبه هتلر لأعدائه، واستطاع من خلال هذه الأزمة أن يتولى السيطرة على الحكومة . " المحرر "

وحددت شعار الوطن

حادثة تيان أنمين

دقَّت ناقوس الموت لـ" عصابة الأربعة "

عجلت بسقوط هذه العصابة

فتحت أعين الشعب

حادثة تيان أنمين

هى أكثر القصائد روعة

إنها نقطة تفرع النهر

حيث افترقت الثورة والثورة المضادة

إنها نقطة التحول فى تاريخ الصين .

٧ ـ التوهج الثورى أقوى من أن يخبو

بعدما أمضى أحد عشر شهراً فى معسكر الظلمة

هان جى شيونغ يرى الشمس مرة أخرى

حتى وإن كان جسده مثقبًا بالجراح كالغربال

توهجه الثورى يحرق ضوء الشمس

لماذا وطننا العظيم ؟!

بعدما تحطمت الجبال الثلاثة العظمى [(١)]

يظهر أحباب لين بياو وعصابة الأربعة

تاركين الجراح العميقة حتى الآن

من أين تأتى هذه الأفاعى ؟

أى نوع من التربة ترعى فيها ؟

أولئك الذين يناضلون اليوم

هل يكفى أن نجعلهم يناضلون ؟!

إن الكفاح أكبر من هذا

عيوننا يجب أن تبرق

يجب أن نستبدل بالخرافة العلم

أن نحطم سجوننا الذهنية

(١) تبنت حكومة الصين خلال الفترة من " ١٩٤٩ ـ ١٩٥٢ " حملة ضد ما أسمته بالسيئات الثلاث " الأكل ، التبذير ، البيروقراطية " . " المترجمان "

ألا نسمح لأنفسنا بأن تُخدع ثانية

ألا نسمح لها بأن تُغَش ثانيةً

ما ننشده يجب أن يكون الحقيقة

ما نريده يجب أن يكون ضوء الشمس

يجب ألا نتكل على شفقة السماء

أو حتى ننتظر رحمتها

يجب على الشعب أن يحمى حقوقه

لأن حقوق الشعب هى أسلحة الثورة

كل السياسات الحكومية يجب أن تدعم هذه الرسالة

كل المظالم يجب أن يُثأر منها

حتى وإن عشنا خاملين لفترة طويلة

يجب أن نطهر السمعة التى لوثت .

٨ ــ حَلِّق عاليًا بشجاعة

الآن ، أيها السائق

أدر بلدوزرك

تقدَّم للعمل

تخلص من كل القمامة التى تراكمت

تخلص من كل العوائق

من كل شىء إقطاعى أوفاشى

مؤمن بالخرافات أو فاسد

نظف سطح الأرض للتحضر

قاسى هان جى شيونغ محاكمته بالنار

اختُبر بأقصى أنواع الأعاصير

كان شابًا من عصر الزعيم ماوتسى تونج [1]

ابتلعته القمة الهائجة للأمواج السياسية

ناضل من أجل الشعب

كان هذا قسمه الرائع

(١) ماوتسى تونج (١٨٩٣ - ١٩٧٦) : أعلن تأسيس جمهورية الصين الشعبية ثانى دولة اشتراكية فى العالم يوم الأول من أكتوبر عام ١٩٤٩ . " المراجع "

حلِّق يا هان جى شيونغ بشجاعة

انظر ، الشعب يشير إليك

وإذا ما سأل أحدهم

ماذا تعنى نهاية الثورة الثقافية ؟

فالإجابة سوف تكون جلية بلا خطأ

الصين ترى جيلاً جديداً من شباب يبزغ .

١٦ نوفمبر ١٩٧٨

أنشودة في مدح الضوء

ـ ١ ـ

كل رجل فى حياتــــــه
كان نابهًا أو بطىء الفهم
محظوظًا أو سئ الــحظ
عندما يترك رحم أمــــه
فإنه يتتبع الضوء بعينيه

عالم بلا ضوء
رجل بلا عينين
باخرة بلا بوصلة
بندقية بلا علامة التسديد

كيف للمرء أن يعلم بالأفاعى

أو الفخاخ الكامنة فى الطرق

إن لم يكن هناك ضوء

فلا ربيع ببراعم صفصافه المتهدلة

أو صيف تتنافس فيه الزهور جمالاً

أو خريف تملأ فواكهه الذهبية البساتين

أوشتاء بثلوجه الكثيفة المتساقطة ،

وزغبه الثلجى المتطاير

إن لم يكن هناك ضوء

فلن نرى الأنهار فى جريانها

ولا الغابات فى امتداداتهـــا

ولا البحار فى هيجانهـــا

ولا الذرى الثلجية فى شموخها

إن لم نستطع أن نرى أيًا من هذه الأشياء

فأى رابطة تجمعنا بهذا العالم ؟!

ـ ٢ ـ

إنها توجد فقط لأن هناك ضوءاً
إنه يظهر لعالمنا المتنـــــــوع
جماله وألوانـــــه
لتبدو حياتنا أكثر جاذبية

الضوء يمنحنا بصيرة
الضوء يمنحنا خيـــالاً
الضوء يمنحنا عاطفة
الضوء يشارك الخلود

كم هى رائعة آثار المعماريين
بل إنها فى الداخل أكثر مجداً
تلك الأشعار التى تهزنا بعمق
من يستطيع قراءتها ولا يزرف دموعًا ؟

هؤلاء النحاتون الرائعون
مانحو الدفء للرخام البارد

هؤلاء الرسامون العباقرة

راسمو العيون المفتونة بالحياة

راقصات أخف من الرياح

أغانٍ أكثر سطوعًا من اللؤلؤ

حماس نارى ، ولاء كالماس

كل الفنون دون ضوء بلا حياة

كم هو جميل ضوء نيران المعسكرات !

كم هو جميل ضوء الفنار قرب الميناء !

كم هى جميلة أضواء النجوم فى ليالى الصيف !

كم هى جميلة أضواء الألعاب النارية فى الاحتفالات !

كل هذه الأشياء تشترك فى شىء واحد هو الضوء .

ـ ٣ ـ

كم هو عجيب ذلك الضوء !

إنه عديم الوزن لكن فى سطوع الذهب

يمكن أن يُرى لكن لا يُدرك

يرحل إلى كل مكان فى العالم ، و ليس لديه شكل

يرافق الجمال

يولد من الاصطدامات والاحتكاكات

يأتى من الاحتراق والانطفاء

يأتى من النيران و الكهرباء

من لهيب الشمس السرمدية

آه ، الشمس أعظم مصادر ضوئنا !

من الفضاء الخارجى

من ملايين الأميال البعيدة

ترسل الدفء حيث نعيش

لتنموا كل الأشياء فى هذا العالم ؛

لذا فكل المخلوقات تعبر لها عن امتنانها ؛

لأنها ضوء لايخبو

إنه شيء لايسبر غوره

ليس صلبًا ، و ليس غازيًا

يأتى دون أثر ، ويرحل دون ظل ،

غير محدود المدى

لايصدر صوتًا، يستقر فى كل مكان

قوى دون استعراض للقوة

كبرياء صامت

عظيم التكوين

غنى ومحسن

واسع العقل

متفتح القلب

يعطى دون مقابل

ناكر للذات

يرسل تألقه إلى كل مكان

ـ ٤ ـ

لكن هناك مخلوقات تخاف الضوء

تخفى كرهها للضوء

لأن الضوء

ينخس عيونها الأنانية

فكل المستبدين فى التاريخ

كل الحكام الأشرار

كل البشر الجشعين

كل سارقى الثروات

كل سالبى الحقوق

بذلوا أقصى جهودهم لكى يصادروا الضوء

لأن الضوء يدفع البشر ليستيقظوا

كل الذين يضطهدون الآخرين

يريدون أن يظل البشر عاجزين

عاجزين حتى عن التجاسر على إصدار صوتًا

حتى يطيعوا حكامهم كالآلهة

كل الذينَ يستغلون الآخرين

يريدون الكل أغبياء

حتى لايستطيعون تصور الأشياء الخارجية

بل حتى ماهو حاصل جمع واحد وواحد

يريدون الكل عبيداً

أدوات عمل يمكنها التحدث

مواشٍ مطيعـــــــــــة فقط

يخافون البشر أصحاب الإرادة

يفكرون أن يطفئوا النيران

وفى الظلام الدامس

فى قلاعهم التى تعتلى قمم الجبال

يدبرون ما يروى ظمئهم للدماء

يحتلون عروشًا قوية

الأوسمة فى إحدى الأيادى ،

والسياط فى اليد الأخرى

العملات الذهبية فى أحد الجوانب ،
والأصفاد الحديدية فى الجانب الآخر
يدبرون فسادهم
ثم يرقصون مع الشيطان
إلى أن تقدم الوليمة الدموية من اللحم البشرى

نظرة للتاريخ الإنسانى
كم عدد الأجيال
التى سقطت فى هاوية البؤس
حيث الظلمة أصلب من الصوان
ومع ذلك كم عدد الأبطال الذين كانوا بين الرجال
الذين هاجموا البوابات الحديدية للجحيم دون تردد

المجد لمن قاتلوا دون النظر لأنفسهم
المجد لمن قفزوا إلى الميدان عندما سقط الآخرون
فصوت الرعد يعلو فى العواصف الممطرة
ووميض البرق يسطع فى الغيوم المظلمة
خلال عشية ليلة حالكة الظلمة

ـ ٥ ـ

الجهل داهم كالليل

الحكمة سطوع

انبثق الإنسان من الجهل

ثم ذهب أولاً ليسرق النار من الآلهة

كان أول الأبطال الذين ظهروا

لم يكن خائفًا

من النسور التى تحرس النار

أن تنقر عينيه

لم يكن خائفًا

من غضب زيوس [١]

وصاعقته المدمرة

عندما سرق النار من ساحة السماء

لم يعد بعدها الضوء احتكاراً

فمنذ هذا التاريخ انتقلت ملكيته لعالم الرجال

(١) زيوس : كبير آلهة اليونان . " المراجع "

ودعنا قطع الأشجار بالنيران والسيوف
المحرك البخارى أحضر معه الثورة الصناعية
الفيزياء النووية منحت الميلاد للقنبلة الذرية
واليوم نرسل الأقمار الصناعية كالحمام الزاجل

الضوء أحضرنا إلى عالم جديد ، غريب
أشعة سينية تضىء فى اللحم الحى
أشعة ليذر تخترق طبقات الفولاذ

مناظير متنوعة تتعقب الأجسام فى الفضاء
أجهزة حاسب آلى تدفعنا للقرن الواحد والعشرين

ورغم كل هذا فإن أكثر الأشياء قيمة
هى رؤيتنا الثاقبة
رؤية حكمائنا القدامى المخلصين
القادرة على أن ترى عبر أى شىء
أن تتنبأ بكل شىء

أن تخترق طبقات اللحم والدم

لترى أرواحنا

لتدرك جوهرها

لتلمس كل القوانين الداخلية التى تحكمها

كل حركة أو تغير

كل نمو أو انحطاط

القادرة على اختراق حتى جبال الهيمالايا الساكنة

لايوجد أفق للمعرفة

فالافق يوجد عندما تتوقف الحياة

لأن المعرفة لا تحد

والإنسان على مدى حياته

ترك آثار أقدامه على سُلَّم المعرفة

فالمحاولة والتطبيق هما سُلَّم المعرفة

والعلم يخطو على طريق الممارسة

وعلى طريق التقدم

شخص ما يجب أن يحطم قفلاً تلو قفلٍ

شخص ما يجب أن يحرر أصفاداً تلو أصفادٍ

فالحقيقة تحيا للأبد على طريق الممارسة

ـ ٦ ـ

الضوء من الذرى

ينظر لدروب البشرية الطويلة

من تشوكوديان (١) حتى ميدان تيان أنمين (٢)

أُوقظنا من آلاف الأوهام

تعلمنا بعد أن خدعنا آلاف المرات

فللوحدة تناقضاتها ، وللتقدم انتكاساته

وللحركة عوائقها ، وللثورة خائنوها

(١) الموضع الذى وجدت فيه جمجمة إنسان بكين . " المحرر "

(٢) أعلن ماوتسى تونج فى الأول من أكتوبر عام ١٩٤٩ فى هذا الميدان تأسيس جمهورية الصين الشعبية رسمياً فى احتفال مهيب حضره نحو ٣٠٠ ألف شخص تقريباً . " المترجمان "

كم عدد المنحدرات المائية الخطرة التى تجاوزناها

كم عدد الجنادل الخفية التى عبرناها

سوف نمضى ، ولن تغرق زوارقنا

لأن أضواء السماء تقودنا

حتى الضوء لديه ظلمته

والظلمة لديها ضوؤها

فأشياء عديدة ،

قبيحة ومخجلة

تختفى من الضوء

الأفاعى السامة ، الجرذان ،

بق الفراش ، العقارب ، العناكب

فصائل لا تحصى من العث الأبيض

كلها مخلوقات سامة

يجب أن نظل دائمًا على أهبة الاستعداد

فالأعداء كامنة لنا،

لا نراها

إيماننا

يجب أن يكون فى قوة الضوء

لايهم عدد الكوارث الباقية

فعندما نجتاز هذه الليالى المظلمة

مستقبلنا سوف يسطع للأبد

ـ ٧ ـ

كل منا يملك حياةً

لا تعد شيئًا سوى ذرة غبار فى مجرة البشرية

وكل ذرة لديها توهجها الخاص

تحتشد ضمن ذرات لا تحصى لترسل شعاع ضوء

كل فرد من خلال وقوفه منفرداً

يعكس تألق الآخرين عليه

ندور بلا توقف فى هذا التألق المشترك

نرافق الأرض فى دورانها

نحترق فى هذا الدوران

حياتنا لا تثمر شيئًا سوى هذا الاحتراق

كل منا يجب أن تكون حياته

كألعاب الاحتفالات النارية

التى تطلق صوب السماء لتصيح فى لذة

وبعدها تزهر فى انفجارات ضوئية متألقة

حتى لو كنا شمعًا

يجب أن نحترق إلى رماد قبل أن تجف دموعنا (١)

حتى لو كنا أعواد ثقاب

يجب أن نحمل اللهب حتى تأتى لحظاتنا الحاسمة

حتى لو تحللنا فى التربة بعد موتنا

فسوف نطلق شراراتنا الفسفورية

التى سوف تحررها الأغصان المشتعلة

(١) اقتبست من إحدى قصائد لى شانغ ين - وهو أحد شعراء القرن التاسع الذى يعود إلى أسرة تانج " - التى يقول فيها " دودة القز تغزل حياتها بالحرير ، الشمعة يجب أن تحترق قبل أن تجف دموعها . " المحرر "

ـ ٨ ـ

أن تكون شخصًا ضئيلاً

ذرة غبار بين أشكال فلكية

حتى وإن كانت حياتك قصيرة مثل قطرة ندى

حتى لو كنت ذرة رمال دقيقة على ضفاف نهر الجانج (١)

يمكن أن تعكس ضوءاً أكثر مما يمكن أن تصدره بمفردك

بصوتٍ أجش غنيت

خلال الشهور والسنين التى عشتها بلا حرية

غنيت للحرية

للشعب المضطهد

أغنى للتحرر

فى هذا العالم الهائل

أغنى لهؤلاء الذين أُذلوا

(١) يعد نهر الجانج من الأنهار الكبرى فى جنوب آسيا ، ينبع من جبال الهيمالايا ، ويمر بالأرض الصينية ، والهند ، وبنجلاديش ، ويصب فى خليج بنجلاديش ، ويبلغ طوله حوالى ٢٧٠٠ كم . " المراجع "

أغنى لأولئك الذين استُغلوا

أغنى للتمرد ، أغنى للثورة

وفى الليالى المظلمة

أرتشف الأمل مع الفجر

وفى مذاق النصر أغنى للشمس

فما أنا سوى شرارة صغيرة فى نار عظيمة

وقبل أن تخمد نار حياتى

سوف أغوص فى رتل الضوء ،

وفى رتل الضوء

سوف أوحد كل ما هو مفرد

أعزز الكفاح من أجل الحقيقة

وفى هذا الكفاح أخطو مع الشعب

سوف أغنى دومًا اطراءً للضوء

فالضوء شىء ينتمى للشعب

المستقبل ينتمى للشعب

مهما تكن الثروات فهى تنتمى للشعب

مع الضوء نتقدم سويًا

مع الضوء ننتصر سويًا

النصر ينتمى للشعـــــب

سويًا مع الشعب ، نحن لا نقهر

ـ ٩ ـ

أسلافنا فازوا بالمجد

مهدوا الطرق لنـــا

وبطول الطرق ، تركوا آثار أقدام لا تُمحى

وفوق أثر كل خطوة أثر لدماء

بدأنا للتو مسيرة كبيرة جديدة

هذه المسيرة الطويلة ليست ٢٥٠٠٠ قدم طولاً فقط

ما نريد أن نأسره ليس نهرى دادو وجينشا (١) فقط

ما نريد أن نحققه هو أن نعبر ما هو أكبر أهميه وأكثر خطورة

(١) يشير هذا إلى اثنين من أكبر المعارك فى المسيرة الكبرى . " المحرر "

عندما نتسلق المرتفعات ،

سوف نواجه عواصف ثلجية أكبر من الأنهار الجليدية

لكن الضوء سيقودنا للأمام

الضوء سوف يشجعنا و ينخسنا

سوف يحضر لنا فجر العهد الجديد

شعبنا يهاجم متقدمًا فى كل صوب ،

صوته يعلو بالغناء

دع الإيمان والشجاعة يكونان رفيقينا

فقد تسلحنا بالمُثل العليا

كل الطبقات فى الطليعة

قلوبنا تحترق بالأمل

دروبنا تسطع فى ضوء الشمس

دع حياتنا

تدور كطواحين الهواء

تطلق أعظم طاقاتها

دعنا ،

نصبح قوة تتحرر من قلب الأرض

تنشر أجنحتها مثل ضوء يحلق عاليًا

يحلق فى الآفاق ، لا يحده كون

دعنا نحلق بأقصى سرعة

دعنا نحلق بروح لا تعرف الخوف

دعنا ننتزع من اليوم لنحلق صوب الغد

دعنا نصنع من كل يوم نقطة بداية جديدة

ربما فى أحد الأيام ،

سوف يأتى

أبناؤنا

أكثرهم شجاعة

يتسلمون دعوة الضوء

لتفتح كل الأبواب المحكمة الإغلاق

حتى نزور كل جيراننا فى الكون

دعنا نبدأ التحليق من هذا الكوكب

صوب الشمس .

أغسطس حتى ديسمبر ١٩٧٨

حـــــــــائط [1]

حائط كسكيـــــن

يشطر المدينة نصفين

نصف فى الشـــــرق

ونصف فى الغـــــرب

كم ارتفاع هذا الحائط ؟

كم سمكـــــــــــــه ؟

كم طولـــــــــــــه ؟

حتى وإن كان أعلى ، وأسمك، وأطول

فلن يكون بارتفاع وسمك وطـــــول

(١) هو " حائط برلين " الذى كان يقسم ألمانيا إلى غربية وأخرى شرقية قـ
اتحادهما . " المترجمان "

سور الصين العظيم
إنه فقط بقايا تاريخ
جراح أمـــــــــــة
لا أحد يحب هذا الحائط

ثلاثة أمتار ارتفاع لا تعنى شيئًا
خمسون سنتيمتراً سمكًا لا تعنى شيئًا
خمسة وأربعون كيلو متراً طولاً لا تعنى شيئًا
حتى وإن كان أعلى ألف مرة
حتى وإن كان أسمك ألف مرة
حتى وإن كان أطول ألف مرة
كيف له أن يحاصر
السحب ، والرياح ، والمطر ، وأشعة الشمس ؟!

كيف له أن يحاصر
المياه الجارية ، والهواء ؟!

كيف له أن يحاصر

ملايين البشر

الذين أصبحت أفكارهم أكثر حرية من الرياح

الذين أضحت إرادتهم أكثر رسوخًا من الأرض

الذين أمست أمانيهم أبعد مدى من الزمن .

بون ٢٣ مايو ١٩٧٩

مرشدة سياحية

ترافيس [1] مدينة عريقة ، جميـــلة جداً
وفى ترافيس مرشدة سياحية جميلة جداً

أنا لا أعرف اسمهـــــــــــــــا
لكنها كانت ذات عيون جميلة جداً
من شفاهها الرقيقـــــــــــــة
تخرج أكثر الأصوات فتنـــــة

كانت مثل راعية الغنـــم
تجمع قطيعهـا بحــــب
بـــل مثل مُعلم التـــــاريخ
بعلمه الواسع وصبره العظيـم

(١) مدينة ألمانية ، مسقط رأس كارل ماركس . " المراجع "

من قصور لوردات الإقطاعيات

إلى كاتدرائيات البروتستانت

من عاصمة الإمبراطورية الرومانية

إلى الإمبراطور قسطنطين الأول [(١)]

من غزو نابليـــــون

إلى ميلاد كارل ماركــس

من احتلال البروسيـــون

إلى ترافيس اليـــوم

ونحن معها شهود مثابرين مرحين

ترسم ضحكات على شفاهنـــا

وخلال ساعتين قصيرتيـــن

تغطى ألفى عامٍ من التاريـــخ

(١) قسطنطين الأول أو الأكبر (٢٨٠ ـ ٣٢٧ م) أمبراطور رومانى . " المراجع "

وفى النهاية ، عند نافورة بورتا نيجرو

بابتسامة عابرة تودعنـًا

لا يراها أحد مرة أخـرى

لكن فى قلوبنا جميعًا

يظل يتردد رنين صوتها الجلى .

ترافيس ٢٣ مايو ١٩٧٩

نخـــــب

كأس وكأس آخر

يصطكان سويًـا

ليصدرا صوت " رن ـ رن "

" تشن ـ تشن ، تشن ـ تشن ، تشن ـ تشن " (١)

قلبك وقلبى

يرنان سويًا

ليصدرا صوت " رن ـ رن "

" تشن ـ تشن ، تشن ـ تشن ، تشن ـ تشن

(١) تتضمن القصيدة تورية ؛ ففى اللغة الصينية " تشن ـ تشن " تعنى " حب ، حب " أو " قُبلة، قُبلة " ، وفى إيطاليا " تشن ـ تشن " نخب للشراب تعنى من العمق للعمق . " المحرر "

من أجل الصداقة ،

من أجل الســـــلام

دع قلوبنا تصنع معًا

هذا الصوت" رن ـ رن "

" تشن ـ تشن ، تشن ـ تشن ، تشن ـ تشن " .

ميلانو ٢٥ يونيو ١٩٧٩

حلبة المصارعة الكبرى
فى روما القديمة

حلبة المصارعة الكبرى

فى روما القديمة

ربما تكون قد رأيت

مثل هذه المشاهد

فى إحدى الجرات الفخارية الدائرية الصغيرة

هناك صرصوران يتقاتلان

كلاهما يخفق بأجنحته

ليصنعا طنينًا معدنيًا

يفتحان فكيهما ويمزقان بمخالبهما

يلفان ويتصارعان ، يتضاربان ويتناطحان

القوة تنافس القوة فى صراع طويل

وفى النهاية يوجد دائمًا واحد هو الأقوى

الذى يمزق ساق الآخر

يعضه فى جسده ويقتله

الكلولوسيوم الرومانى (١)

إنه فقط مجرد ساحة للقتال

كل شخص يستطيع أن يتخيل

ذلك المنظر البطولى

روما القديمة تشتهر بأنها" مدينة التلال السبعة "

شرقًا : التل البلاطى

شمالاً : تل caelian

جنوبًا : تل esquiline

وفى منتصف هذا الحوض

هناك

(١) مدرج حجرى فى روما القديمة كانت تُقام فيه بعض مراسم الاحتفالات بالإضافة للمصارعة بين العبيد . " المترجمان "

ربما أكبر ساحة عالمية للقتال

إنها تشبه قلعة دائرية لمدينة قديمة

على البعد يمكن رؤية أربعة طوابق

كل طابق يعلوه قوس

وفى الداخل دائرة يحيطها درجات حجرية

تتسع لجلوس مائة ألف أو أكثـــــــــــــر

إذا تصورنا أن الألعاب تُمــارس الآن

بل ربما أنه يوم الاحتفال

أكثر صخبًا من أى سوق محلى

الرومان يرتدون عباءتهم الغالية

حشود من البشر

المدينة بأسرها تهذى

كما لو كانت تحتفل بالانتصارات فى آسيا وأفريقيا

فى الواقع أنهم يشاهدون مأساة بلا قلب

يصنعون لذتهم من معاناة الآخرين

صوت البوق

إله الموت يظهـــــر

المصارعون جميعهم من الأسرى والعبيد

اُلتقطوا لقوتهم وبأسهم

أسرى حروب البلاد التى هزمت

الذين فقدوا زوجاتهم منذ أمد بعيد ،

واختفى أبناؤهم ، وحطمت منازلهم

أجبروا الآن على المصارعة

يبدو أنه لاحاجة بنا لأن نمر بكلمة الموت

إنهم يواجهون مراسم ذبحهم

مثل الماشية فى الحظيرة

فى القتال لا يوجد عداوة أوحقد

حتى الآن كلا المقاتلَين يشتركان فى نفس المصير

يجب أن يطلقا أيادى بريئة

لتذبح ضحية بريئة

يعلمان أنهما رهن للموت

وأنهما يجب أن يعلقا آمالهما على رؤوس أنصالهما

هناك أوقات يجب أن يحاربوا فيها وحوش بريـــــة
وحوش خائفة أو جوعى
أو لمجرد أن يسدوا حاجتها
وعطشها لدماء طازجة دافئة
العبيد ، حتى وإن تحلوا بالشجاعة
فهى شجاعة تُستمد من اليأس
لأن ما يحتاجانه الآن ليس الحكمة
بل القوة التى يجب أن تصرع الخصم

انظر لأولئك الأتباع كم هم فخورون
إنهم الأيدى المستأجرة فى ساحة الصراع
واحد تلو الآخر بخوذ رأس على شكل ثور أو أقنعة خيول
يحملون عصى حديدية أو سوط جلدى
فى البداية يرتدون أقنعة ثم بعد فترة يتخلون عنها
يدفعون المتنازلين سويًا حتى يستطيعا القتال
ليناضلا فى كفاحهما المميت
أكثر ما يُرثَى له هو هذان المتصارعان اللذان غطا وجهيهما

اللذان لا يعلمان ماهية المتعة المثالية

التى تصاحب تلك الأفكار التى بلا قلب ..

المتنافسان فى الساحة لا يستطيعان رؤية كلٍّ منهما الآخر

وكلٌّ منهما يدفع سيفه القصير الأعمى صوب الخصم

يهاجم أو يدافع متساويان ،

إنه خداع رجل أعمى

رجل أعمى يموت ، و رجل أعمى ينتصر

جولة واحدة من التنافس المنتهى

ثم يدخل الأتباع إلى الحلبة

وبخطاطيف طويلة يجرون الجثث خارجًا

قطع اللحم تنتقع فى الدماء

الذين طعنوا حتى الموت يكومون فى جانب واحد

أسلحتهم ـ أوأى أدوات أخرى استخدموها ـ تُغسل

والذين يحتضرون يُقتلون

بعد ذلك يستخدم الماء لكى يمحو الدماء

حتى لا يُرى أثر له

هذه هى الطريقة التى ينفذ بها الرجال المخلصون الأوامر التى تلقى إليهم
إنهم لايذهبون ويقتلون الناس مباشرةً
لكنهم أكثر بشاعة من الجلادين .

دعونا ننظر ثانية للمشاهدين فى المدرجات
عشرات الآلاف ، مجانين ، يتلذذون بالمنظر
هناك تمثال لقيصر يقف منتصبًا
الناس يجلسون كلاً حسب قوته
عائلة الإمبراطور و النبلاء ، غير مبالين وراضين
وحولهم المتملقون
والسيدات النبيلات اللاتى تزين ليثرن الانتباه
بعضهن قلن إنهن جئن ليشاهدن المصارعة
لكن لاشىء يُقارن بالعرض الذى يصنعنه بأنفسهن
مثل تألق نجمة لحظة اشتعالها وسقوطها من السماء
بينما النبلاء يتزينون بمجد فتوحاتهم
وحياتهم فى القصور التى شيدها العبيد
يغتصبون نساء البلاد المهزومة

أدوات أكلهم مخضّبة بالدماء

يستعذبون رائحة الدم

يستعذبون رؤية رجل ووحش يتصارعان حتى الموت

يتنافسان فى الوحشية

يستمدون ترفيههم من منافسات إراقة الدماء

يرسمون ضحكاتهم من خلال صراع الآخرين مع الموت

كلما قُتِل البشر ازدادوا سعادة

ألم تسمع ضحكاتهم ؟!

كم هى كريهة !

من يستخدم سكرة موت الآخرين ليراهن عليها

من يجنى أرباحه من أنهار الدم

ثروته ودناءته تنموان سريعًا .

العبيد فى الساحة أصبحوا أكثر ضراوة

الجماهير فى المدرجات أصبحوا أكثر استثارة

والهتاف للقتل أصبح أكثر صخبًا

والأكثر مرارة أنه من الممكن أن ينفجر ليصبح ضحكات مدوية

فى المدرجات وميض لحلى ذهبية وفضية
وفى الساحة وميض لسيوف وخناجر
الفريقان ليسا بعيدين عن بعضهما
لكن هناك حاجز يفصل بينهما،لا يمكن قياسه .

هذه هى ساحة المصارعة الكبرى فى روما القديمة
استمرت عدة قرون
من يعلم كم عدد العبيد والأسرى
الذين فنوا فى هذه المراهنة الدائرية
آه ، يازيوس ، يا جوبتر [١]

أين أنتم ؟
لماذا لم ترفعوا أيديكم لكى تخففوا هذه المأساة
يا رياح ، يا مطر ، يا برق ، يا رعد
كيف سمحتم بالأفعال الوحشية ؟

(١) جوبتر Jupiter كبير آلهة الرومان . " المراجع "

العبيدُ هم عبيدٌ كما كانوا دائمًا

من هو الذى يدير هذه الأمور ؟

من هو العقل المدبر خلف حمامات الدم هذه ؟

كلما زادت مسافة الزمن كلما بدت الأمور أوضح

كل أولئك الذين يديرون هذه المنافسات عبيد لأسياد

سواء كان Tarquinius (١)

أو سولا (٢) ، أو قيصر (٣) ، أو أوغسطوس (٤)

أسياد عبيد ، قادة عبيد ، بين أسياد عبيد

وحوش عطشى للدم ، ملوك قساة

لن نكون عبيـــداً

نريد أن نكون أحراراً

رجل واحد يصـــــرخ

(١) Ttarquinius (؟ - ٥٧٨) قيل إنه ملك روما الخامس . " المراجع "

(٢) لوسيوس كورنيلوس سولا (١٣٨ - ٧٨ ق . م) . " المراجع " .

(٣) غايوس يوليوس قيصر (١٠٠ - ٤٤ ق . م) سياسى وقائد عسكرى رومانى ، ديكتاتور روما (٤٩ - ٤٤ ق . م) . " المراجع "

(٤) أوغسطوس (٦٣ ق.م- ١٤ م) : أول أباطرة الرومان (٢٧ ق.م- ١٤ م) . " المراجع "

آلاف يستجيبـــــــون

لتغيير قدرهم

يجب أن يحطم أحد هذه المصارعة الوحشية

يجب أن يؤخذ أولئك الذين يقامرون بحياة البشر

ويُسَمَّروا فوق صليب الخجل

قائد العبيد يجب أن يبزغ من العبيد

يجب أن يشاركهم القدر ذاته

يسُبك من نفس نمط تفكيرهم

ليحولهم إلى قوة عظمى

ترفع علم الثورة

مرة تلو الأخرى

تزيد من صلابتهم الهزيمة

حتى يصبح غضبهم كأمواج البحر الأبيض المتوسط

يغمر القصور

تتداعى أقواس النصر الزائفة

تهوى ساحة المصارعة الكبرى فى روما القديمة

الشعب يوقظ ،

القوة تتدفق من دمائه لتروى الأرض

لتشيد سماءً من الحرية ، والعدل ، والحق فى عمل سهل

الكولوسيوم الرومانى

أصبح الآن أثراً من تاريخ :

مثل أطلال الحروب

مثل قلعة اقتحمتها أضواء الفجر

أنا لاأستطيع أن أساعد المفكرين أوالمتسائلين

هل هو رمزٌ للفخر

أو أطلال للعار ؟

هل يرمز لعظمة روما القديمة

أو يدين حضارة بربرية ؟

هل كان موضعًا لانتزاع آهات رخيصة

أو أثرًا لتنهدات وآلام أجيال قادمة ؟!

لقد استمر طويلاً

حتى الرخام ذرف دموعًا

استمر طويلاً

حتى أقواس النصر نكست رؤوسها

من قسوة المشاهد فى مجتمع العبيد

المذابح الظالمة أخفاها ضباب التاريخ

لكنها تركت لنا ذكريات تلوث ضمير البشرية

ورسالة جلية

والحقيقة التى سطرها التاريخ فى صحائفه :

عاجلاً أم آجلاً

دين الدم سوف يسدده الدم

والذين يقامرون بالأموال والدماء على حياة البشر

لن ينالوا نهايات سعيدة

تُرى هل يوجد هذا السخف

فى عالمنا المعاصر ؟

بشر يسعون لعبودية السيد

وآخرون يرون كل البشرية هدفًا للعبودية

ليصبح عالمنا المعاصر

مثل حلبة المصارعة الكبرى فى روما القديمة .

بكين يوليو١٩٧٩

صمتًا .. صوت يتكلم

فى الهزيع الأخير من الليل

عندما يكون كل من فى السماوات

مجتمعين فوق الصين [١]

روح امرأه

صمتًا .. صوتها يتكلم

ـ ا ـ

أنت مرغـــــــوب منـــى

لأنى متحـــــــــد بالحقيقة

(١) يؤمن الكثير من الصينيين بأن أسلافهم يراقبونهم من السماء ، ويجتمعون سويًا لتقييم أفعالهم ، وترديد مشاعرهم وأحاسيسهم ، وفى النهاية يكون التفاخر أوالشعور بالعار من أفعال أبنائهم . " المترجمان "

أنـــــت تكرهنـــــى

لأنى متحـــــد بالبشـــر

لن تدعنى أتكلـــــم

فالموتى قد ماتوا بالفعل

والأحياء لا يتكلمـــون

لكن ليس هناك أقوى من الصوت

أحتاج فقط لأن أفتح فمى

لتبدأ فى الارتعـــــاد

ما يلفظه فمى يصير ناراً

فالحقيقة نــــار لا تخمد جذوتها

جلدتنى بسوط جلـــــدى

كما لو كنت دابة للنقـــل

ركلتنى بقدميـــــــك

كما لو كنت تركل كُـــرةً

استخدمت صــدرى

لتقسى قبضة يــدك

جســـدى ومشاعــرى

عاملتهم كما لو كانوا صخراً

أنا لـم أحـرك يـداً

فلما كبلتهما بالأصفـاد ؟

أنا لم أحـرك قدمًـا

فلما قيدتهما بالأغـلال ؟

أعشق الضياء أكثر من أى شىء آخر

فلما أبعدتنى عــن الشمس ؟

أعشق الحرية أكثر من أى شىء آخـر

فلما وضعتنى فى السجــن ؟

لـــــــن تدعنى أغنـــى

لكنى أريد الغناء بصوتٍ عــالٍ

أغان لاتريد أن تسمعهـــا

فأغانىَّ أغنيهــــا للبشـــر

تستخدم المجرمين لتحرس المجرمين

مخلفًا نسلاً من البصاصيــــن

لايشبعـــــك موت الجســد

تريد أن تفسد الروح أيضًا

تحرسنى الآن امـرأة

كانت وكيلاً سريـًا لـلكومنتانج (١)

كانت تقتل الرفقاء سرًا

والآن تقتلهم علنًـا

أمر لا يصـــدق

دماء رفقائنـا

(١) الكومنتانج : حزب سياسى برجوازى ، تأسس فى أغسطس عام ١٩١٢ بمدينة شنغهاى ، ويعتبر صن يات ـ صن من أبرز زعمائه ، سيطر هذا الحزب على الحكومة الصينية من عام ١٩٢٨ إلى عام ١٩٤٩ ، وعلى الحكومة فى تايوان بعد عام ١٩٤٩ .
" المراجع "

تبدّل الإيمان بهـا

الألم والقسوة

صارت نصيبنـــا

وبها سعـادتـك

تلفـق الجرائـم

وبعدها تستنتقنى

أنا بـرىء

أنت المذنــب

حاكمت رفقاءً كالأعداء

وجعلت أعداءً كالرفقـاء

وسمحت للأعداء أن يسحقوا رفقاءنا

فأصبحت أنت نفسك العدو

الرفيـق المخلص

تبدل وانضم إلى الكومنتانـج

فأنا مدان بعقوبة فى السجن

بينما من تحرسنى طليقة

كلكم من نفس الجنس

نزوات مقيتـة

مهارة فى التلون

تثير ثوراتٍ فى معسكر الثوار

قلبى ياقـــــوتـة

روحى شفافة

أكثر من الكريستال

تستخدم القوة لتجعلنى أخضع

ويكفينى إيمانى لأتفوق عليك

تستخدم الموت لتـرهبنـى

وأنا عقـدت عزمى منذ أمد بعيد

إن لم أمت فى السجـــن

فسوف يكون فى ساحة المعركة

لقد تحولت إلى مجنونٍ يهــذى

تحلم بوضع نهايـــــــة لحياتـــى

لايهمنى إن عشــــــتُ أو مــتُ

فسأظـــــــل شاهداً على جرائمك

فى سعيك لتكميم فمـى

حتى لا أخبر العالـــــم

ترفع يديك الشريــــــرة

لتحز حنجرتى كالدجاجة

فأنت أمهر من فى السلخانة

وأنا رقم ٤٦

كم عدد مَنْ ستذبحهم ؟

حاول أن تخرسنا جميعًا

قصبتى الهوائية ليست لى وحدى
قصبتى الهوائية تخص البشـــر
قصبتى الهوائية تخص الرفقاء
قصبتى الهوائية مذياع حديدى للحقيقة

الأيدى التى فى الأصفاد قد لا تسمح بالكتابة
الأقدام المكبلة بالأغلال قد لا تسمح بالسير
القصبة الهوائية المقطوعة قد لاتسمح بالصراخ
لكنى لازلت أملك أفكارى
رماح ثائرة أصوبها مع نظراتى

إذا نظرتَ إليك مرة واحدة
فسوف ترتعد وترتعـش
إذا نظرت إليك مرتيـــن
فسوف أنفذ إلى أعماقـك

أخذتنى إلى ساحة الإعدام فى حراسة
وظننت أنى سوف أحنى رأسى أخيراً

لكنى رفعت رأسى أكثر علـواً
رحبت بكل فخر بمراسم موتـى

لماذا تخاف من النظر إلىَّ ؟
لماذا ترتعد يـداك ؟
لأنك زنبقــة جبانة
تخجل من نفســـك

رفعت بنادقك
وصوبتها نحو صدرى
لكن من قُـتِل ليس أنـا
من قـُتِل هى الحقيقـة

الذين يحبوننى يجب أن لا يبكوا
الذين يكرهوننى لا يحتاجون لأن يضحكوا
لأن موتى كان قاسيًا
ولأنى مِتُ صغيــــراً

الذين أحبهـم

سوف يعانون

كما عانوا دائمًا

الذين كرهتهـــم

سوف يظلون طلقاء

كما كانوا دائمًا

الذين لازالوا أحياء

يجب أن يظلوا أكثر يقظة

فالأعداء لم ينتهوا بعد من مجازرهم .

— ب —

أنا لم أمت حقـًا

فالأعداء مخطئون

أنا لن أمـت

فأنا ربيع سرمدى

بمجرد أن تطلق البنادق

سوف ترتد الطلقات مراتٍ ومرات

يدفعها زئير البشر الغاضب

صوت الرعد فى السماء

أنا لســتُ واحداً

أنا حاصل جمع كُلٍّ

كل ضحايا شهودكم الزور

متاريســـى

أنا نحن ونحن لا يُعد

أنا تجسيد للكل

فجميعنـــــا أنـا

وأنا واحد من ملايين الأفراد

أنا تشانغ جى شين

عندما أُعتقلت

كان عام ١٩٦٩

عندما واجهت رصاص الموت

كان عام ١٩٧٥

لا تقلق

لأنى مِتُ فى الخامسة والأربعين

فالموت له أوقاته الخاصة

مثل الزهــور

ست سنوات فى السجن

تكفى لأن تجعل حتى الأشجار الحديدية

تطرح أزهاراً

أسقط ، أنهض

أتوقف عن التنفس ، أتحدث

لم أمت ..أنا أملك حياةً لا تنتهى

فى أحد الأيام سوف يتحدث الناس بصوت أعلى

من أجلى

سوف يرسمون صوراً لى

سوف يلحنون موسيقى من أجلى

سوف يغنون من أجلى

العالم كله ينظر إلىَّ

فأنا أحد نجوم المجرة

العالم كله ينصت إلى صوتى

فأنا الصفارة التى تبشر بالفجر

فالبشر مرايا من مليون وجه

فى كُلٍّ منها أثر لكل وجه

تعكس كل حركـة لك

تعكس روحك البغيضة

أترى كيف تلطخك الأوساخ ؟!

امسح الدماء من يديـك

انظر كيف تختلق أكاذيبك

وتتلو مأثرك بالخداع ؟!

البشر ملايين وملايين من الكاميرات

كل عدسة تصوب نحوك مباشرة

الوجه ليهوذا [1]

والقلب لذئب .

أغسطس ١٩٧٩

(١) يهوذا الإسخريوطى الذى خان المسيح . " المراجع "

آيـــوا

تقع مدينة آيوا الأمريكية شمالى ولاية ميسورى ، هناك تتمايل الأعشا
المزهرة ذهاباً وإياباً ، مثل الأمواج الضخمة ، الأشجار تفيض بالأزه
والورود ، معظم المزارعين وعائلاتهم الذين أتوا واستقروا فى هذ
المساحة من نيوإنجلاند ، ونيويورك ، وأهايو ، كلهم يعشقون العيش هنا
لأن المناخ والخضرة تذكرهم بأوطانهم .

" إن الذين يحبون الحرية يقدرون حقيقة أنه لا يوجد عبيد هنا
فالجميع مزارعون " .

(كتاب " تاريخ أمريكا

بعيداً عن صخب الساحل الشرقى

بعيداً عن ضجيج الساحل الباسيفيكى

بعيداً عن ضوضاء شيكاغـــو

تقع مدينة صغيـــرة جـداً

هناك فى وسط المـروج

آيـوا

اسم جميـل

أعتقد أن الهنود هم الذين منحوها إياه

الهنود الذين طالما أقاموا بها ،

اُقتيدوا بعيداً

وجاء من بعدهم واستقروا

من نزحوا من الشرق

من يملك الفرار من حب هذا المكـان

حيث السهول واسعة والتربة خصبة

والأعشاب والأشجار تمتد بلا انقطـــاع

الرواد الذين كان الغرب وجهتهم

اجتازوا مسافات طويلـة

واستقروا هنا ، لم يستطيعوا مغادرتها

آيوا موضع إزهار الـذرة

فحقولها تمتد بلا انقطاع

عندما يهب النسيـم

تتمايل حقولها كأمواج البحر

مدينة آيوا

تقع فى ولاية آيوا

بصفصافها وقياقبها

وبلوطها ودردارها

مكان تنطلق حوله الأرانب والسناجب

ويقال إن الغزلان تعلمت الوثب فى بساتينها

مدينة آيوا

مدينة "الفيشار "

مدينة آيوا

مثل قرويةٍ عذراء

ناعمة الحديث ، مجتهدة فى العمل

من ذا الذى يبغى الذهاب إلى شيكاغو
رغم أنها ليست بعيدة ؟!

فى الخريف
فى " مايفلور "
فى أحد المبانى السكنية
تحتضن عدداً من الأجانب
يأتون إليها مثل الطيور المهاجرة
كُتَّاب وشعراء
يدعون " إلى ورشة الكُتَّاب الدولية "

مدينة آيوا
الموضع المثالى للاسترخـاء
فهى ليست مزدحمة و كثيفة مثل نيويورك
أو متمددة وواسعة بغير نظام مثل لوس أنجلوس

معظم المقيمين فى مدينة آيوا
طلبة

يجوبون الشوارع
بشعورهم الطويلـة
وحقائبهم خلف ظهورهم
يرتدون الچينز
وعندما يرى كل منهم الآخر
تحيتهم ابتسامة يغلفها الحياء

لا توجد ناطحات سحاب فى آيوا
لأنها مثل حديقة واسعة
تزينها الجبال والسهول
وفى كل موضع ظليل تتبعثر منازل قليلة
منازل خشبية صغيرة
كأنها تسللت من قصص هانز كريستيان أندرسن [1] الخرافية .

نهر آيوا
ينساب بنعومة عبر المدينة
وبعدها يودعها شرقًا صوب المسيسبى

(١) هانز كريستيان أندرسن (١٨٠٥ - ١٨٧٥) : شاعر وروائى دانمركى ، اشتهر بحكاياته الخرافية للأطفال . " المراجع "

مدينة آيوا

مدينة صغيرة رائعة جداً

مثل أنشودة رقيقة جميلة

من ذا الذى يملك الفرار من حب هذا المكان ؟

أكتوبر ١٩٨٠

شيكاغو

فوق الأرض العشبية الخصبة

عند شواطئ بحيرة ميتشجن

استقرت مدينة

سكنها الهنود أولاً

ثم جاء زمان

قام فيه الرجال البيض من الشرق

بانتزاع كل الرجال الحمر من هذا المكان

استعملوا البنـــادق

ليحتلـوا الأرض

قطعوا الأشجـار

ليشيدوا منازلهـم

مدوا الطرق والسكك الحديدية

فى كل موضع مثل نسيج العناكب

أقاموا مطاحن حديدية وبيوتًا للذبح

شيدوا مجتمعات سوداء كالفحم

انتزعوهـــــا من جهنـــم

هنا كان لأمريكا

مفترق الطرق ،

مركز الشحن والتجارة

صورة لأخطبوط ضخم يمد لوامسه

فى الثروة والغنى

لسوء الحظ

مثل روما القديمة

نار عظيمة أهاجتها الرياح

أحرقت المدينة بالكامل ، سوتها بالأرض

لم يبق منها سوى برج للمياه

لكن العنقاء نهضت من جديد

أعصابها من حديـد

أجنحتها من زجاج

شيدها المعماريون من الرخام والجرانيت

ومثل مكعبات اللعب ، بنوا الواحدة فوق الأخرى

وعند شواطئ بحيرة ميتشجن

غرسوا آلافًـا من ناطحات السحاب

أبراجًـا سوداء قاسية

أسموها قمة العالم

مائة وأحد عشر طابقًا تقف منتصبة

ورغم كل هذا إذا ما استخدم المرء منظاراً

ليمسح الأفق

فلن يستطع رؤية أية إشارة للهنود

من يعلم أين ذهبوا ؟

قد تجدهم فى متحف التاريخ الطبيعى

حيث رفات ثقافتهم

العبيد سود البشرة

الذين جلبوا من أفريقيا

منحوا الحرية

تكاثروا بسرعة كبيرة

سلالتهم

أصبحت تذهب فى جماعات صاخبة

إلى متاحف العلوم

هنا أيضًا مؤسسات الفن

حيث أسماء بيكاسو وشيكاغو

تجتمع سويًـا

هنا سوف تجد الجامعة

حيث صُنِعت أول قنبلة ذرية
دكَّت مدينة هيروشيما اليابانية

فوق الممرات التى حددتها المبانى العالية
تلمح شظايا من السماء
لايسمع صفير الريـاح
الأضواء الحمراء والخضراء تتحكم فى تدفقنا

القطارات تمر سريعًا
الترولليات تمر سريعًا
العربات تمر سريعًا
ركب يمر سريعًا

التطلع إلى شيكاغو فى ظلام الليل
كمرأى محيط من الأضواء
محيط من الأضواء المتألقة

محيط من ملايين الأضواء المتألقة

حائط من الضوء يقف متألقًا

ميتشجن

بحسرة

تعرض هذه الأضواء

مع رقصات الروك أندرول

وتحترق حتى الفجـر .

٣ نوفمبر ١٩٨٠

نيـويـورك

تقف شامخة عند مصب نهر هادســـون
عاصمـة كاملـة
إطار فولاذى ضخم لا يُضاهى
حياة إنسانية فى دوامة من فولاذ

فولاذ يتذبـــــــــذب
فولاذ يحتك معـًا
فولاذ يقفز لأعلى
فولاذ يطيـــر .

أعلى الشوارع
تتقاطع دعامات الكبارى
تمتد جسور من فـولاذ

صوب السمـاء

كالسواعد القويـة

تربط جزراً صغيـرة

بواحدة أعظم هى " نيويورك "

مانهاتن...

قلب كل هذه الجزر

تمـــــوج بناطحات السحـــاب

بصخور وجروف من الزجاج والحديد والفولاذ

وفى ممراتها وأوديتها التى لا تُحصى

تتدفق ملايين السيـــارات

و داخل تلك الأودية الضيقة

الشمس لا تُرى

بساتين الأشجار لا تُرى

لن تجد الوسترية [1]

(١) نبات معترش ذو زهر عنقودى أزرق أو أبيض أو أورجوانى . " المراجع "

لن تجد نبات السرخس أيضًا

لن تجد كروانًا أوعندليبًا

سوى فى كتب علم الطيور

إذا كان الفولاذ عصب المدينة العظيمة

فالكهرباء شرايين دمائها

الكهرباء تجوس خلالهـــا

حتى فى أدق الكبـــــلات

الكهرباء إلهـــة هذا الزمن

فهى تتحكم فى كل شــــىء

كل شىء يموج بالسرعة

وفى السرعة يناضل البشر للحياة

الزمن يستعبد البشــر

والمال يدفع الزمن للاستمرار

البشر على اختلافهم

تجدهم مجتمعين فى هذه المدينة

سويًا مع حشود السود

حتى فى حى هارلـم [1]

الكل ينبض بشهوة اللحـم

ليـــلاً ونهـاراً

موسيقى الروك أندرول [2]

تختلط مع النشـاز

يتنافسان سويًـا

لكن تُرى من يستطيع أن يصدر الصوت الأعلى ؟!

فى المساء

يضيء سكان نيويورك ملايين المصابيح

أكثر روعة من أى رؤية

ولكن

من يستطيع أن يحيا على الرؤى ؟

(١) حى الزنوج بنيويورك . " المترجمان "

(٢) رقصة أمريكية شهيرة . " المترجمان "

فى متحف الفن الحديث
المنحوتات المعدنيـــــة

الأصوات الكهربية
تخلق سرابًا غريبًـا
خيالات شاذة ومخيفة

تتجسد هنا
خلاصة المادية
يدخل البعض بها قاعات الجنة
و يهوى البعض إلى حفر جهنم

وآلهة الحرية
ليست أكثر من مظهر خارجى
تقف وحيدة
فى إحدى الجزر خارج الميناء
تحدق حائرة فى هذه المدينة العظيمة .

١٧نوفمبر١٩٨٠

لوس أنجلوس

لوس أنجلوس تعرض فتنتها
فى مناخها الجنوبى

لكن
الضباب ينهض خارجًا من الميناء
يزحف خلسة
بصمت
يتسلل خلال النباتات شبه الأستوائية
يتسلل فوق سوارى المراكب الشراعية
يتسلل فوق أبراج أجراس الكنائس

الضباب يُحكم قبضته
كتلة رصاصية تتحرك ببطء

يتسرب داخل أكشاك بيع الأسماك

يغوص فى قلب الروائح الكريهة القوية

يختلط بأدخنة المصانع

يختلط بعوادم السيارات

يحتل كلَّ ركن فى المدينة

يكسو مصابيح الشوارع

يفرض سطوته فوق السيارات

فتزحف على الطرق السريعة

لوس أنجلوس واسعة

تضم فى فلكها سبع مدن تابعة

لوس أنجلوس ممتدة

تبسط نفوذها فوق بلدان ومدن

لكن الضباب أوسع من لوس أنجلوس

الضباب أضخم من لوس أنجلوس

والضباب صامت .

ديسمبر ١٩٨٠

هونج كونج

تشبه جحور نمل
ساحة للتزاحم والتدافع
بناياتهـــــا الشاهقـة
كالخناجر المصوبة نحو الفضاء

بل تشبه فرنًا للخبيز
من الصعب أن تواجه لهيبه

أو خلاطة الخرسانة فى دورانها
صوتها عالٍ جداً تشعرنا بالاضطراب

كيف تكون بهذا الزحام؟
لكن

فى الفجوات بين البنايات

يرى المرء سلاسل الجبال

وشروق الشمس خلف المنازل

والجسور التى تتخطى الفضاء

والكبلات الكهربائية التى تخترق السحاب

لتأخذ السياح أعلى جبل " تاى بينغ "

وحولها حشود طالبى المتعة

يحومون فى مياه محيطها

كانت هذه المساحة يومًا شاطئًا للبحر

يسكنه ضوء القمـــر

مع قوارب الصيادين

التى ترسو بين الغاب والبردى

عندما اختيرت فجأةً

مركزاً للأنشطة

وبشكل عجيب

بزغت هذه المدينة الغريبة

وبنداء الحرية ، كأغانى جنيات البحر

سعى الجميع إليها

مختفين فى البواخر ، سابحين فى البحر

مرتدين أنفسهم ، ساعين للثروة

صوب مدينة التجارة

أسواق البورصة

مثل بركة من الدماء الملوثة

احتشدوا فوق سطحها الصغير

عصر هونج كونج

موقعكِ الجغرافى

تآمروا مع جشعك وطمعك

ليمنحوكِ الفتنة لتبهرى البشر

عربات ترولى بطابقين

حافلات ، سيارات شحن

سيارات أجرة ، درجات بخارية

سيارات شرطة تلهث فى عجلة ، صفارات تدوى

تجعل عشرات الآلاف متوترين

يلهثون فى الشقوق بين السيارات

فى المساء

ضوء لوحات الإعلانات

يشتعل فى منافسة ومضاربة

النوادى الليلية ، وساحات المتعة

تفور بشهوة اللحم

موسيقاها ورقصها

تفيض رغبة ورفاهية

ووسط الفقراء

تنتشر أكثر الاحتفالات بذخًا

ورغم ذلك لا يحد جماح نزواتك

كل مساحة منكِ اغتصبت

حتى سماءك احتلت

وفى سعيك لتزيدى من بجاحة ثروتك

تبسطين عباءتك صوب البحر

مازالت زهرة الموانى

تشعُّ فى كل صوب

ورغم كل ذلك ما بهرنى

هم ملايين البشر الذين عاشوا هنا

الذين عملوا وكافحوا

فأنت لست أكثر من معبرٍ للوطن

سوق لتبادل البضائع

جسر يقود للبحار الأربعة والقارات الخمس

كم من السنوات مرت

وأنت تقدمين أموالاً للآخرين

مسلوبة من الوطن ؟!

المسودة الأولى ٢٥ أغسطس ٨٠

النسخة النهائية ٢١ فبراير ٨١

حلم بستـــانى

يُحكى أن بستانيًا كان متيمًا بأحد أنواع الزهور ، حتى إنه غرس فى فناء داره مئات من فصائلها المختلفة ، كى تزهر على مدار العام ، ظن أنه بهذه الطريقة سوف يستطيع أن يروى عشقه لرؤيتها ؛ وقد عاونه أصدقاؤه على هذا العشق فأرسلوا إليه من كافة أرجاء الكون كل ما عثروا عليه من هذه الزهور.

كان البستانى يكرس الكثير من وقته لتلك الزهور، ويحرص كل يوم على ريها ، ومتابعة نموها، وتقليب تربتها ، وتشذيب فروعها، وتقليم جذورها وموالاتها بالمخصبات .

وفى إحدى الليالى حلم حُلمًا غريبًا ؛ إذ تراء ى له أنه بينما كان يشذب غابته الوردية دخلت فناء داره أنواع مختلفة من الزهور ، بدا الأمر كما لو كانت كل أزهار الكون قد جاءت لزيارته ، وعندما اقتربت منه هذه الأزهار نظرت إليه بتجهم ، والحزن يكسوها، والدمع يغلف أعينها ، وقف البستانى مندهشًا من كل ما يحدث!

كانت زهور الفاوانيا أول المتحدثات ؛

فقالت : إيمانًا منا بقيمة احترام الذات ما كنا لنجرؤ على الحضور إلى فناء دارك دون دعوة ، لقد آتينا اليوم بعد أن تلقينا دعوة أخواتنـا المقيمات عندك .

سوسن الماء كانت ثانية المتحدثات ؛

فقالت : عندما استيقظتُ من النوم فى بركتى عند حافة الغابة ، سمعتُ أخوتى يمرون فى صخب متجهين إلى هنا ، وإيمانًا منى بقيمة المشاركة تتبعتهم .

هالة الصباح قوست جسدها الرقيق وفتحت فمها الدقيق ؛

فقالت : لا تستطيع أن تنكر أننا أيضًا جميلات .

زهرة الرمان وقفت معترضة ؛

فقالت : إن عدم الاكتراث يعادل الازدراء .

الأوركيد الأبيض أبدت أسفـــها ؛

فقالت : يجب أن تقدر جمال الروح .

زهرة الصبار ترفعت فى غضب ؛

فقالت : الذين يحبون الخنوع هم أنفسهم ضعفاء ؛ لذا يجب أن تقدر الأرواح التى لا تقهر .

ياسمين الشتاء ببراعتها ؛

فقالت : أحضرت معى قوة الإيمان لا تنساها .

زهرة الأوركيد بتعاطفها ؛

فقالت : و أنا أحمل عبير الصداقة .

كل زهرة قالت كلمتها وصمتت ، وفى النهاية قالوا جميعًا فى تناغم واحد إن من يعُشق لمحظوظ ، لقد تم تجاهلنا لفترة طويلة ، وشكوانا أكثر من أن نرويها ، إن أدركت معنى رسالتنا تكون مباركًا .

تحدثت فى هذه اللحظة كل الزهور التى فى فناء داره ؛

فقالت : إن أردت الصدق فنحن نشعر بوحدة شديدة هنا ، إذا استطعـــت أن تجمعنا سويًا تكون قد منحتنا السعادة ،

وبمجرد أن انتهوا من حديثهم اختفوا جميعًا فى لحظة واحدة .

استيقظ البستانى حزين القلب، ملك عليه هذا الحلم تفكيره ؛ فسار فى كل أرجاء حديقته ، مفكرًا " إن كل زهرة تملك جمالاً خاصًا بها ، كما أن من حقها أن تتخير مواسم تفتحها ، ولأنى شغفت بأحد أنواعها فقد أصبح عالمى صغيرًا جدًا، كيف لم أدرك أنه بجانب القصير نستطيع أن ندرك الطويل ، وبجانب الصغير نستطيع أن نعرف الكبير ، وبجانب القبيح نستطيع أن نميز الجميل... اعتبارًا من اليوم يجب أن يصبح فناء دارى مملكة للشذا والعبير المتنوع .

ودون ثمة مقارنة ؛ فالأفكار كذلك دون تنوعها تصبح وحيدة ضعيفة تتجمد وتذبل وتتلاشى ... و من الذكاء أيضا أن لا نحجر على مواسم تفتحها [١] .

٦ يوليو ١٩٥٦

(١) هذه القصة هى محاولة لتجسيد شعار أطلقه ماوتسى تونج عام ١٩٥٦ تحت اسم " دع مائة زهرة تتفتح ومائة مدرسة فكرية تتبارى " ، وقد تراجع ماو تسى تونج عن هذه السياسة فى عام ١٩٥٧ . " المترجمان "

الشاعر فى سطور :

يعد آى تشينغ أحد أبرز الشعراء الصينيين المعاصرين ، ومن أكثرهم شهرة فى مجال الشعر الحر . و لد فى ٢٧ مارس ١٩١٠ فى جين هوا بمقاطعة تشجيانغ الصينية ، وقد التحق فى عام ١٩٢٨ بالمؤسسة القومية للفنون الجميلة " البحيرة الغربية " فى هانتشو لدراسة الرسم ، وفى عام ١٩٢٩ رحل من شنغهاى إلى باريس ؛ حيث عمل فى أتيليه خاص ، وخلال هذه الفترة بدأ فى كتابة الشعر ، وفى عام ١٩٣٢ عاد إلى الصين لينضم إلى رابطة الفنانين اليساريين الصينية فى شنغهاى ، وفى شهر يوليو من العام نفسه اعتقل ليكتب فى السجن إحدى أشهر قصائده وهى " دايا ناه مرضعتى " ، والتى نشرت عام ١٩٣٣ ، ومنذ اعتقاله هجر آى تشينغ الرسم إلى الشعر ، وفى عام ١٩٤١ انتقل آى تشينغ إلى يانان حيث عمل معلماً فى مؤسسة لوشيون للأدب والفن ، وفى عام ١٩٤٥ انضم إلى رابطة الحزب الشيوعى الصينى ، وبعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩ شغل العديد من المناصب القيادية فى بعض المنظمات الوطنية حتى عام ١٩٥٨ حيث تم إرساله إلى إحدى مزارع الدولة فى شمالى شرق الصين ، ثم نُقل إلى مزرعة أخرى فى سينكيانج حيث أمضى هناك ما

يقرب من ستة عشر عامًا ، وفى عام ١٩٧٥ عاد إلى بكين مرة ثانية ليستقر فيها ، وقد عاد بعد ذلك إلى نشر شعره ؛ حيث نشر ديوانه " العلم الأحمر " فى شنغهاى فى ١٣ أبريل عام ١٩٧٦ .

ومنذ ذلك الحين صدر لآى تشينغ العديد من الدواوين الشعرية ، كما أتيح له زيارة العديد من دول العالم منها : " ألمانيا الغربية ، والنمسا ، و إيطاليا ، والولايات المتحدة الأمريكية » .

المترجمان فى سطور :

• عبد الرحمن سعد حجازى

– من مواليد كرداسة بالجيزة عام ١٩٧١م .

– تخرج فى قسم اللغة العربية وآدابها ، بكلية الآداب ، جامعة القاهرة عام ١٩٩٣م .

– نال درجة الماچستير فى الدراسات البلاغية والنقد الأدبى من نفس الكلية عام ١٩٩٧م .

– تمَّ التسجيل لنيل درجة الدكتوراه بعنوان «الخطاب السياسى فى شعر تميم بن المعز والمؤيد فى الدين الشيرازى : دراسة أسلوبية» بنفس الكلية عام ٢٠٠١م .

– يعمل حاليًا : كبير المصححين اللغويين بالمشروع القومى للترجمة ، بالمجلس الأعلى للثقافة منذ عام ١٩٩٧ حتى الآن .

له : – مصر فى ردائها الفاطمى ، مجلة المحيط الثقافى «المجلس الأعلى للثقافة» القاهرة ، ديسمبر ٢٠٠١م .

– نشأة الموشحات (تفسير جديد) ، مجلة جذور ، النادى الأدبى الثقافى بجدة ، المملكة العربية السعودية ، العدد ١١ ، شوّال ١٤٢٣ هـ = ديسمبر ٢٠٠٢م .

– تحت الطبع كتاب : «بلاغة التأويل» .

• **أمير نبيه تادرس**

- من مواليد القاهرة عام ١٩٧٠
- تخرج فى قسم الجغرافيا جامعة الزقازيق ١٩٩١
- حصل على تمهيدى الماچستير من جامعة عين شمس ١٩٩٢
- يعمل حاليًا : باحث بقطاع العلاقات الثقافية الخارجية بوازرة الثقافة ، والذى التحق بالعمل فيه عام ١٩٩٧
- عضو لجنة الاتصال لمهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى أعوام ١٩٩٩ ، ٢٠٠٠ ، ٢٠٠١
- عضو لجنة المراسم لمهرجان القاهرة السينمائى الدولى أعوام ٢٠٠٢ ، ٢٠٠٣
- مثَّل قطاع العلاقات الثقافية الخارجية فى العديد من المحافل الثقافية الدولية التى نظمت فى بعض الدول الأجنبية من بينها : بولندا ، بلغاريا ، كوريا الجنوبية ، كندا ، الصين .

المراجع فى سطور:

• الدكتور/ عبد العـزيز حـمـدى

– خريج قسم اللغة الصينية بجامعة عين شمس ١٩٨١

– حصل على دكتوراه الألسن ١٩٩٤

– رئيس قسم اللغة الصينية وآدابها –كلية اللغات والترجمة– جامعة الأزهر .

– اختصاص بالصينولوجيا من دراسة اللغة والأدب والتاريخ والثقافة الصينية .

– له مقالات باللغة العربية عن الأدب الصينى الحديث والكلاسيكى ، ودراسة عن الأدباء الصينيين ، وأخرى عن الأمثال الصينية والعربية وباللغتين الصينية والعربية .

– تأليف كتاب (التجربة الصينية) دار نشر أم القرى للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة .

– ترجمة المسرحية الصينية (شروق الشمس) ونشرت فى سلسلة (من المسرح العالمى) – وزارة الاعلام بالكويت .

– ترجمة كتاب (الصينيون المعاصرون) من الصينية إلى العربية ، إصدار سلسلة عالم المعرفة – الكويت .

– ترجمة المسرحية الصينية (المقهى) ونشرت فى سلسلة المشروع القومى للترجمة .

– ترجمة المسرحية الصينية (تساى ون جى) ونشرت فى سلسلة المشروع القومى للترجمة .

– مراجعة الترجمة الصينية لكتاب (الامارات العربية المتحدة – شعب عريق ودولة فنية) الصادر عن دار الثقافة والفنون – بكين ، الصين الشعبية .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحي / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ١	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتي
٤٩ – الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكي
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

العنوان	المؤلف	المترجم
٧٢ – السياسي العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلي
٧٣ – نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيميٺوڤا	ت : حسن بيومي
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ – چاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	ت : سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمري
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوي
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	ت : محمود السيد علي
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالي
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقي	ت : أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العناني
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجيل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوي
٩٥ – مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سري محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (المجلد الأول)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
٩٨ – الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحي
١٠١ – النص الروائي (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبي	ت : عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣ – قبر ابن عربي يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجني	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوي
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسي	د. ماريا خيسوس روبييرامتي	ت : أشرف علي دعدور
١٠٧ – صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدي

١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩ – حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ – المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : ليس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ – الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ – نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ – الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ – فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ – الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ – الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ – مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ – قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

العنوان	المؤلف	المترجم
١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف اليمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ – شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - جان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحي العشرى
١٨٤ - القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بُزُرْج علَوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	الفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	پول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ - الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - سياحت نامه إبراهيم بك جـ١	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - مختارات من النقد الأنجلو - أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى - سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ - الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ - ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ - السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ - مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ - فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ - قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ - مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ - قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ - مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ - رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ – بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ – الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ – شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ – فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ – العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ – دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ – حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ – المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماريا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ – الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ – مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ – فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ – الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ – ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ – الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ – مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ – العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ – العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ – فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ١)	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ – الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ – نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ – قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	ولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ – حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ – لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ – علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ – الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ – أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

العنوان	المؤلف	المترجم
٢٥٦ - ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ - الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروچان كازانچيان
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ - رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ - مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت : على يوسف على
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ - روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ - مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ - فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عروبكى
٢٦٨ - ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ - الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ - الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ - الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ - السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ - ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ - فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ - الچينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ - البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ - من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ - الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ - السهل يحترق	خوان رولفو	ت : على البمبى
٢٨٤ - هرقل مجنونًا	يوريبيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ - سياحت نامه إبراهيم بك ج٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ - الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ - الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ - ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ - علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ - المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ - المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بـوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس	ريـوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ	چان – فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ – الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ – علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ – الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت : جمال الجزيرى
٣١٠ – يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ – روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ – أمثال فلسطينية	خابير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ – الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعى
٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت :كاميليا صبحى
٣١٦ – محاكمة سقراط	آ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ – بلا غد	شير لايموفا – زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ – صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ – لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج١)	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ – وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو. إيوجين كليتباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ – فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ – اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ – عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ – المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ – يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

٣٣٠ – كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت : سامى صلاح
٣٣١ – عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت : سامية دياب
٣٣٢ – رحلة شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٣٣ – الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٣٣٤ – لقطات من المستقبل	آرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمى
٣٣٥ – عصر الشك	ناتالى ساروت	ت : فتحى العشرى
٣٣٦ – متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٣٣٧ – فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٣٨ – نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٣	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ – اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخرى لبيب
٣٤١ – قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمى
٣٤٢ – سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٤٣ – العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٣٤٤ – الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٣٤٥ – الركض خلف الزمن	بونه ندائى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ – سحر مصر	رشاد رشدى	ت : جمال الجزيرى
٣٤٧ – الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الحلو
٣٤٨ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ١	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٤٩ – دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدرون وآخرين	ت : أحمد عمر شاهين
٣٥٠ – بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت : عطية شحاتة
٣٥١ – مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٥٢ – قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت : نعيم عطية
٣٥٣ – الفن الإسلامى فى الأندلس (هندسية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٤ – الفن الإسلامى فى الأندلس (نباتية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٥ – التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٥٦ – الميراث المر	بول سالم	ت : بدر الرفاعى
٣٥٧ – متون هيرميس	نصوص قديمة	ت : عمر الفاروق عمر
٣٥٨ – أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت : مصطفى حجازى السيد
٣٥٩ – محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت : حبيب الشارونى
٣٦٠ – أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت : ليلى الشربينى
٣٦١ – التصحر : التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت : عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢ – تلميذ باينبرج	هاينرش شبورال	ت : سيد أحمد فتح الله
٣٦٣ – حركات التحرر الأفريقى	ريتشارد جيبسون	ت : صبري محمد حسن
٣٦٤ – حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت : نجلاء أبو عجاج
٣٦٥ – سأم باريس	شارل بودلير	ت : محمد أحمد حمد
٣٦٦ – نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت : مصطفى محمود محمد

٣٦٧ – القلم الجرىء — نخبة — ت : البرّاق عبد الهادى رضا
٣٦٨ – المصطلح السردى — جيرالد برنس — ت : عابد خزندار
٣٦٩ – المرأة فى أدب نجيب محفوظ — فوزية العشماوى — ت : فوزية العشماوى
٣٧٠ – الفن والحياة فى مصر الفرعونية — كليرلا لويت — ت : فاطمة عبد الله محمود
٣٧١ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ٢ — محمد فؤاد كوبريلى — ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٧٢ – عاش الشباب — وانغ مينغ — ت : وحيد السعيد عبد الحميد
٣٧٣ – كيف تعد رسالة دكتوراه — أمبرتو إيكو — ت : على إبراهيم على منوفى
٣٧٤ – اليوم السادس — أندريه شديد — ت : حمادة إبراهيم
٣٧٥ – الخلود — ميلان كونديرا — ت : خالد أبو اليزيد
٣٧٦ – الغضب وأحلام السنين — نخبة — ت : إدوار الخراط
٣٧٧ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٤ — على أصغر حكمت — ت : محمد علاء الدين منصور
٣٧٨ – المسافر — محمد إقبال — ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٧٩ – ملك فى الحديقة — سنيل باث — ت : جمال عبد الرحمن
٣٨٠ – حديث عن الخسارة — جونتر جراس — ت : شيرين عبد السلام
٣٨١ – أساسيات اللغة — ر. ل. تراسك — ت : رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢ – تاريخ طبرستان — بهاء الدين محمد إسفنديار — ت : أحمد محمد نادى
٣٨٣ – هدية الحجاز — محمد إقبال — ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٨٤ – القصص التى يحكيها الأطفال — سوزان إنجيل — ت : إيزابيل كمال
٣٨٥ – مشترى العشق — محمد على بهزادراد — ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٨٦ – دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى — جانيت تود — ت : ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧ – أغنيات وسوناتات — چون دن — ت : بهاء چاهين
٣٨٨ – مواعظ سعدى الشيرازى — سعدى الشيرازى — ت : محمد علاء الدين منصور
٣٨٩ – من الأدب الباكستانى المعاصر — نخبة — ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٩٠ – الأرشيفات والمدن الكبرى — نخبة — ت : عثمان مصطفى عثمان
٣٩١ – الحافلة الليلكية — مايف بينشى — ت : منى الدروبى
٣٩٢ – مقامات ورسائل أندلسية — فرناندو دى لاجرانخا — ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٣٩٣ – فى قلب الشرق — ندوة لويس ماسينيون — ت : زينب محمود الخضيرى
٣٩٤ – القوى الأربع الأساسية فى الكون — بول ديفيز — ت : هاشم أحمد محمد
٣٩٥ – آلام سياوش — إسماعيل فصيح — ت : سليم حمدان
٣٩٦ – السافاك — تقى نجارى راد — ت :محمود سلامة علاوى
٣٩٧ – نيتشه — لورانس جين — ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٨ – سارتر — فيليب تودى — ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٩ – كامى — ديفيد ميروفتس — ت :إمام عبد الفتاح إمام
٤٠٠ – مومو — مشيائيل إنده — ت : باهر الجوهرى
٤٠١ – الرياضيات — زيادون ساردر — ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٢ – هوكنج — ج . ب . ماك ايفوى — ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٣ – ربة المطر والملابس تصنع الناس — توبور شتورم — ت : عماد حسن بكر
٤٠٤ – تعويذة الحسى — ديفيد إبرام — ت : ظبية خميس
٤٠٥ – إيزابيل — أندريه جيد — ت : حمادة إبراهيم
٤٠٦ – المستعربون الإسبان فى القرن ١٩ — مانويلا مانتاناريس — ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٤٠٧ – الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه — أقلام مختلفة — ت : طلعت شاهين
٤٠٨ – معجم تاريخ مصر — جوان فوتشركنج — ت : عنان الشهاوى

٤٠٩ – انتصار السعادة	برتراند راسل	ت : إلهامى عمارة
٤١٠– خلاصة القرن	كارل بوبر	ت : الزواوى بغورة
٤١١ – همس من الماضى	جينيفر آكرمان	ت : أحمد مستجير
٤١٢ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج٢)	ليفى بروفنسال	ت : نخبة
٤١٣ – أغنيات المنفى	ناظم حكمت	ت : محمد البخارى
٤١٤ – الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	ت : أمل الصبان
٤١٥ – صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	ت : أحمد كامل عبد الرحيم
٤١٦ – مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	ت : مصطفى بدوى
٤١٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج٥	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤١٨ – سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	ت : عبد الرحمن الشيخ
٤١٩ – العصر الذهبى للإسكندرية	جون ماريو	ت : نسيم مجلى
٤٢٠ – مكرو ميجاس	فولتير	ت : الطيب بن رجب
٤٢١ – الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى	روى متحدة	ت : أشرف محمد كيلانى
٤٢٢ – رحلة لاستكشاف أفريقيا جـ١	نخبة	ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٢٣ – إسراءات الرجل الطيف	نخبة	ت : وحيد النقاش
٤٢٤ – لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبد الرحمن الجامى	ت : محمد علاء الدين منصور
٤٢٥ – من طاووس حتى فرح	محمود طلوعى	ت : محمود سلامة علاوى
٤٢٦ – الخفافيش وقصص أخرى من أفغانستان	نخبة	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧ – بانديراس الطاغية	باى إنكلان	ت : ثريا شلبى
٤٢٨ – الخزانة الخفية	محمد هوتك	ت : محمد أمان صافى
٤٢٩ – هيجل	ليود سبنسر وأندرزجى كروز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٠ – كانط	كرستوفر وانت وأندرزجى كليموفسكى	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣١ – فوكو	كريس هيروكس وزوران جفتيك	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٢ – ماكياڤلى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٣ – جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	ت : حمدى الجابرى
٤٣٤ – الرومانسية	دونكان هيث وچودى بورهام	ت : عصام حجازى
٤٣٥ – توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ت : ناجى رشوان
٤٣٦ – تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٧ – رحالة هندى فى بلاد الشرق	شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨ – بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	ت : عايدة سيف الدولة
٤٣٩ – موت المرابى	صدر الدين عينى	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠ – قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	ت : محمد الشرقاوى
٤٤١ – رب الأشياء الصغيرة	أروندانى روى	ت : فخرى لبيب
٤٤٢ – حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ت : ماهر جويجاتى
٤٤٣ – اللغة العربية	كيس فرستيغ	ت : محمد الشرقاوى
٤٤٤ – أمريكا اللاتينية : الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	ت : صالح علمانى
٤٤٥ – حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	ت : محمد محمد يونس

٤٤٦ – التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	ت : أحمد محمود
٤٤٧ – نظرية الكم	ج. ب. ماك ايفوى	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٤٨ – علم نفس التطور	ديلان ايفانز – أوسكار زاريت	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٤٩ – الحركة النسائية	مجموعة	ت : جمال الجزيرى
٤٥٠ – ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا – ريبيكا رايت	ت : جمال الجزيرى
٤٥١ – الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن / بورن ڤان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢ – لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجنانزى / أوسكار زاريت	ت : محى الدين مزيد
٤٥٣ – القاهرة : إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت : حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤ – خمسون علمًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت : سوزان خليل
٤٥٥ – تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كوبلستون	ت : محمود سيد أحمد
٤٥٦ – لا تنسنى	مريم جعفرى	ت : هويدا عزت محمد
٤٥٧ – النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان مولر اوكين	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٨ – الموريسكيون الأندلسيون	خوليو كارو باروخا	ت : جمال عبد الرحمن
٤٥٩ – نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
٤٦٠ – الفاشية والنازية	ستوارت هود – ليتزا جانستز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦١ – لكان	داريان ليدر – جودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦٢ – طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبد الرشيد الصادق محمودى	ت : عبد الرشيد الصادق محمودى
٤٦٣ – الدولة المارقة	ويليام بلوم	ت : كمال السيد
٤٦٤ – ديمقراطية القلة	ميكائيل بارنتى	ت : حصة منيف
٤٦٥ – قصص اليهود	لويس جنزبرج	ت : جمال الرفاعى
٤٦٦ – حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	ت : فاطمة محمود
٤٦٧ – التفكير السياسى	ستيفين ديلو	ت : ربيع وهبة
٤٦٨ – روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٤٦٩ – جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	ت : مجدى عبد الرازق
٤٧٠ – الأراضى والجودة البيئية	نخبة	ت : محمد السيد الننة
٤٧١ – رحلة لاستكشاف أفريقيا ج٢	نخبة	ت : عبد الله الرازق إبراهيم
٤٧٢ – دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت : سليمان العطار
٤٧٣ – دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت : سليمان العطار
٤٧٤ – الأدب والنسوية	بام موريس	ت : سهام عبد السلام
٤٧٥ – صوت مصر : أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	ت : عادل هلال عنانى
٤٧٦ – أرض الحبايب بعيدة : بيرم التونسى	ماريلين بوث	ت : سحر توفيق
٤٧٧ – تاريخ الصين	هيلدا هوخام	ت : أشرف كيلانى
٤٧٨ – الصين والولايات المتحدة	ليو شيه تشنج ولى شى دونج	ت : عبد العزيز حمدى
٤٧٩ – المقهى (مسرحية صينية)	لاوشه	ت : عبد العزيز حمدى
٤٨٠ – تساى ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	ت : عبد العزيز حمدى
٤٨١ – عباءة النبى	روى متحدة	ت : رضوان السيد
٤٨٢ – موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	ت : فاطمة محمود
٤٨٣ – النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	ت : أحمد الشامى

العنوان	المؤلف	المترجم
٤٨٤ – جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	ت : رشيد بنحدو
٤٨٥ – التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٦ – الذاكرة الحضارية	يان أسمن	ت : عبد الحليم عبد الغنى رجب
٤٨٧ – الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٨ – الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٩ – هُسرل : الفلسفة علماً دقيقاً	هُسرل	ت : محمود رجب
٤٩٠ – أسمار البيغاء	محمد قدرى	ت : عبد الوهاب علوب
٤٩١ – نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	ت : سمير عبد ربه
٤٩٢ – محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	ت : محمد رفعت عواد
٤٩٣ – خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	ت : محمد صالح الضالع
٤٩٤ – كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	ت : شريف الصيفى
٤٩٥ – اللوبى	إدوارد تيفان	ت : حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦ – الحكم والسياسة فى أفريقيا جـ١	إكوادو بانولى	ت : مجموعة من المترجمين
٤٩٧ – العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلىّ	ت : مصطفى رياض
٤٩٨ – النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	ت : أحمد على بدوى
٤٩٩ – تقاطعات : والأمة والمجتمع والجنس	نخبة	ت : فيصل بن خضراء
٥٠٠ – فى طفولتى (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تيتز رووكى	ت : طلعت الشايب
٥٠١ – تاريخ النساء فى الغرب	أرثر جولد هامر	ت : سحر فراج
٥٠٢ – أصوات بديلة	هدى الصدّة	ت : هالة كمال
٥٠٣ – مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة	ت : محمد نور الدين عبد المنعم
٥٠٤ – كتابات أساسية ج١	مارتن هايدجر	ت : إسماعيل المصدق
٥٠٥ – كتابات أساسية ج٢	مارتن هايدجر	ت : إسماعيل المصدق
٥٠٦ – ربما كان قديساً	آن تيلر	ت : عبد الحميد فهمى الجمال
٥٠٧ – سيدة الماضى الجميل	بيتر شيفر	ت : شوقى فهيم
٥٠٨ – المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبد الباقى جلبنارلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٥٠٩ – الفقر والإحسان فى عهد سلاطين المماليك	آدم صبرة	ت : قاسم عبده قاسم
٥١٠ – الأرملة الماكرة	كارلو جولدونى	ت : عبد الرازق عيد
٥١١ – كوكب مرقّع	آن تيلر	ت : عبد الحميد فهمى الجمال
٥١٢ – كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	ت جمال عبد الناصر
٥١٣ – العلم الجسور	تيد أنتون	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤ – مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	ت : مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥ – من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	ت : فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦ – إرادة الإنسان فى شفاء الإدمان	أرنولد واشنطون – ودونا باوندى	ت : صبرى محمد حسن
٥١٧ – نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨ – استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	ت : هاشم أحمد محمد
٥١٩ – محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٥٢٠ – الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	ت : أمل الصبان

٥٢١ – قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	ت : عبد الوهاب بكر
٥٢٢ – إسبانيا في تاريخها	أميركو كاسترو	ت : علي إبراهيم منوفي
٥٢٣ – الفن الطليطلي الإسلامي والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	ت : علي إبراهيم منوفي
٥٢٤ – الملك لير	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوي
٥٢٥ – موسم صيد في بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون رزيفز	ت : نادية رفعت
٥٢٦ – علم السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	ت : محيي الدين مزيد
٥٢٧ – كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	ت : جمال الجزيري
٥٢٨ – تروتسكي والماركسية	طارق علي وفلْ إيفانز	ت : جمال الجزيري
٥٢٩ – بدائع العلامة إقبال في شعره الأردي	محمد إقبال	ت : حازم محفوظ وحسين نجيب المصري
٥٣٠ – مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	ت : عمر الفاروق عمر
٥٣١ – ما الذي حَدَثَ في حَدَثِ ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	ت : صفاء فتحي
٥٣٢ – المغامرُ والمستشرق	هنري لورنس	ت : بشير السباعي
٥٣٣ – تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	ت : محمد الشرقاوي
٥٣٤ – الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	ت : حمادة إبراهيم
٥٣٥ – مخزن الأسرار	نظامي الكنجوي	ت : عبد العزيز بقوش
٥٣٦ – الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون	ت : شوقي جلال
٥٣٧ – للحب والحرية	نخبة	ت : عبد الغفار مكاوي
٥٣٨ – النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني	كيت دانيلر	ت : محمد الحديدي
٥٣٩ – خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	ت : محسن مصيلحي
٥٤٠ – توجهات بريطانية – شرقية	السير رونالد ستورس	ت : رؤوف عباس
٥٤١ – هي تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	ت : مروة رزق
٥٤٢ – قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث	نخبة	ت : نعيم عطية
٥٤٣ – السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	ت : وفاء عبد القادر
٥٤٤ – ميلاني كلاين	نخبة	ت : حمدي الجابري
٥٤٥ – ياله من سباق محموم	فرانسيس كريك	ت : عزت عامر
٥٤٦ – ريموس	ت.ب. وايزمان	ت : توفيق علي منصور
٥٤٧ – بارت	فيليب ثودي وآن كورس	ت : جمال الجزيري
٥٤٨ – علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	ت : حمدي الجابري
٥٤٩ – علم العلامات	بول كوبلي وليتاجانز	ت : جمال الجزيري
٥٥٠ – شكسبير	نيك جروم وبيرو	ت : حمدي الجابري
٥٥١ – الموسيقى والعولمة	سايمون ماندي	ت : سمحه الخولي
٥٥٢ – قصص مثالية	ميجيل دي ثربانتس	ت : علي عبد الرءوف البمبي
٥٥٣ – مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	ت : رجاء ياقوت
٥٥٤ – مصر في عهد محمد علي	عفاف لطفي السيد مارسوه	ت : عبد السميع عمر زين الدين
٥٥٥ – الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين	أناتولي أوتكين	ت : أنور محمد إبراهيم ومحمد نصر الدين الجبالي
٥٥٦ – چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	ت : حمدي الجابري
٥٥٧ – الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كرولي	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٥٥٨ – الدراسات الثقافية	زيودين ساردار وبورين ڤان لون	ت : وفاء عبد القادر

٥٥٩ – الماس الزائف	تشا تشاجى	ت : عبد الحى أحمد سالم
٥٦٠ – صلصلة الجرس	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوى
٥٦١ – جناح جبريل	محمد إقبال	ت : جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢ – بلايين وبلايين	كارل ساجان	ت : عزت عامر
٥٦٣ – ورود الخريف	خاثينتو بينابينتى	ت : صبرى محمدى التهامى
٥٦٤ – عُش الغريب	خاثينتو بينابينتى	ت : صبرى محمدى التهامى
٥٦٥ – الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا . ج. جيرنر	ت : أحمد عبد الحميد أحمد
٥٦٦ – تاريخ أوربا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	ت : على السيد على
٥٦٧ – الوطن المغتصب	مايكل رايس	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨ – الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	ت : عبد السلام حيدر
٥٦٨ – موقع الثقافة	هومى . ك . بابا	ت : ثائر ديب
٥٧٠ – دول الخليج الفارسى	سير رويرت هاى	ت : يوسف الشارونى
٥٧١ – تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	ت : السيد عبد الظاهر
٥٧٢ – الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	ت : كمال السيد
٥٧٣ – فرويد	ريتشارد ابيحنانس وأسكار زارتى	ت : جمال الجزيرى
٥٧٤ – مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	ت : علاء الدين عبد العزيز السباعى
٥٧٥ – الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	ت : أحمد محمود
٥٧٦ – فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ت : ناهد العشرى محمد
٥٧٧ – مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	ت : محمد قدرى عمارة
٥٧٨ – الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	ت : محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩ – تشومسكى	چون ماهر وچودى جرونز	ت : محى الدين مزيد
٥٨٠ – دائرة المعارف الدولية	چون فيزر وبول سيترجز	ت : محمد فتحى عبد الهادى
٥٨١ – الحمقى يموتون	ماريو بوزو	ت : سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢ – مرايا الذات	هوشنك كلشيرى	ت : سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣ – الجيران	أحمد محمود	ت : سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤ – سفر	محمود دولت آبادى	ت : سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥ – الأمير احتجاب	هوشنك كلشيرى	ت : سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦ – السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى آرمز	ت : سهام عبد السلام
٥٨٧ – تاريخ تطور الفكر الصينى	نخبة	ت : عبد العزيز حمدى
٥٨٨ – أمنحوتپ الثالث	أنييس كابرول	ت : ماهر جويجاتى
٥٨٩ – تمبكت العجيبة	فيلكس ديبواه	ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٥٩٠ – أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	ت : محمود مهدى عبد الله
٥٩١ – الشاعر والمفكر	هوراتيوس	ت : على عبد التواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢ – الثورة المصرية	محمد صبرى السوربونى	ت : مجدى عبد الحافظ وعلى كورخان
٥٩٣ – قصائد ساحرة	بول فاليرى	ت : بكر الحلو
٥٩٤ – القلب السمين	سوزانا تامارو	ت : أمانى فوزى
٥٩٥ – الحكم والسياسة فى أفريقيا جـ٢	إكوادو بانولى	ت : نخبة
٥٩٦ – الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت : إدوارد الخراط

٥٩٧ – مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	ت : جمال عبد الرحمن
٥٩٨ – مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	ت : بيومى على قنديل
٥٩٩ – فلسفة الشرق	هرداد مهرين	ت : محمود علاوى
٦٠٠ – الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	ت : مدحت طه
٦٠١ – النسوية والمواطنة	ريان ڤوت	ت : أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢ – نحو فلسفة ما بعد الحداثة	جيمس وليامز	ت : إيمان عبد العزيز
٦٠٣ – النقد الثقافى	آرثر أيزابرجر	ت : وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤ – الكوارث الطبيعية	باتريك ل. آبوت	ت : توفيق على منصور
٦٠٥ – مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى الصغير	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦ – قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	ت : محمود إبراهيم السعدنى
٦٠٧ – قلب الجزيرة العربية جـ١	هارى سينت فيلبى	ت : صبرى محمد حسن
٦٠٨ – قلب الجزيرة العربية جـ٢	هاردى سينت فيلبى	ت : صبرى محمد حسن
٦٠٩ – الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	ت : شوقى جلال
٦١٠ – العمارة المدجنة	رفائيل لوبث جوثمان	ت : على إبراهيم منوفى
٦١١ – النقد والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	ت : فخرى صالح
٦١٢ – رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	ت : محمد محمد يونس
٦١٣ – السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	ت : محمد فريد حجاب
٦١٤ – بيت الأقصر الكبير	فوزية أسعد	ت : منى قطان
٦١٥ – عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد	أليس بسيرينى	ت : محمد رفعت عواد
٦١٦ – أساطير بيضاء	روبرت يانج	ت : أحمد محمود
٦١٧ – الفولكلور والبحر	هوراس بيك	ت : أحمد محمود
٦١٨ – نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	ت : جلال البنا
٦١٩ – مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبلوى	ت : عايدة الباجورى
٦٢٠ – السلام الصليبى	توماش ماستناك	ت : بشير السباعى
٦٢١ – النوبة المعبر الحضارى	وليم ى . آدمز	ت : فؤاد عكود
٦٢٢ – أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	ت : أمير نبيه وعبد الرحمن حجازى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٩٦٢٠ / ٢٠٠٣





ليس من السهل الحصول على أرقام مبيعات الكتب المنشورة فى الصين ، لكننا نعلم أنه قد بيع بالفعل أكثر من ثلاثين ألف نسخة من ديوان «مختارات من شعر آى تشينغ» الذى صدر عام ١٩٧٩ ، كما أن ديوانه الذى صدر عام ١٩٥٧ أعيد طبعه نحو ست مرات ، وبيع منه أكثر من خمسين ألف نسخة ، ولعل هذه الأرقام تكشف أن جمهور آى تشينغ لا يقتصر على فئة بعينها ، بل حتى إذا ما أخذنا بعين الاعتبار عدد السكان الضخم ، وسعر الدواوين المنخفض لتفسير هذا الإقبال ، تظل هذه الأرقام تحسب فى صالح آى تشينغ عند مقارنتها مع الإصدارات الشعرية الناجحة المباعة فى الولايات المتحدة الأمريكية ؛ حيث يعد ثلاثة آلاف نسخة رقمًا رائعًا .
يضم هذا الديوان مختارات من شعر آى تشينغ التى تعكس تطور أسلوبه الأدبى ، وتدرجه فى النضج ، وتفهمه للحياة

الغلاف / أمير نبيه